جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: العلوم الاجتماعية

مذكرة ماستر

العلوم الاجتماعية
فلسفة
فلسفة عامة

رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالبة:
شابي نور الهدى

يوم:

المثقف والسلطة عند ميشيل فوكو

لجنة المناقشة:

العضو 1	الرتبة	الجامعة	الصفة
العضو 2	الرتبة	الجامعة	الصفة
العضو 3	الرتبة	الجامعة	الصفة

السنة الجامعية: 2024/2023

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

شكر وعرفان

لم يتلعثم ويعجز ويتثاءب لساني حينما انجزت العمل وتفاصيله بقدر ما هو عاجز الآن على حمل المعاني والأحاسيس التي بداخلي، وعن وصف الفخر الذي أعيشه هاته اللحظة، فبلا شك اشراف الأستاذ "**حيدوسي الوردي**" عن أي عمل لا يزيد صاحبه إلا فخرا وقيمة واعتزازا، وقبل ذلك مسؤولية عظيمة

ويشهد الله أنك لم تقصر في تقديم المساعدة بل قدمت لي أكثر مما يلزم من المراجع الورقية التي كانت كافية وتزيد لما احتاجه إلى حد بعيد فجزاك الله عنا كل خير وجعلك الله من الذين قال فيهم "**ورفعناه مكانا عليا**"، كما لا أنسى أن أتقدم بخالص الشكر وأسمى عبارات المحبة لجميع أساتذة شعبة الفلسفة وعلى رأسهم الأستاذ **حميدات الصالح، لزهر عقبي، قدور رشيد، والأستاذة برواق مليكة** على الدعم المستمر خلال سنوات الدراسة بالجامعة.

كما لا يفوتني توجيه الشكر لأعضاء لجنة المناقشة مسبقا لما سيقدمونه لي من نصائح وتوجيهات بناءة ستساهم في تقديم البحث في أحسن صورة له.

شابي نور الهدى

الإهداء

الحمد لله سبحانه وتعالى على توفيقه وعونه لي على إنجاز هذا العمل الذي لم يكن ليتحقق ويتم لولا إرادته وفضله.

أهدي هذا العمل والإنجاز إلى:

نبراس حياتي " **أمي**" الغالية داعية الله أن يحفظها ويلبسها ثياب الصحة والعافية.

أهديه إلى روح جدي المجاهد العظيم "**بومعراف لخضر**" فكل نجاح أعيشه اليوم فلك فيه الأثر الكبير والنصيب من الفضل.

إلى روح جدتي "**شابي كلثوم**" التي ضمَّها التراب ولكن ذكراها باقية لم تمحى. ولو كنت أجيد الشعر لقلت فيك أروع القصائد.

أهديه إلى من كانت لنا سند في الحياة بعد الله عمتي " **شابي يمينة**"

أهديه إلى قدوتي وأغلى ما اهدتني الحياة خالتي " **بومعراف فريدة** "

إلى من يقف بجانبي ويمنحني الأمان في كل الأوقات أخواتي العزيزات:

" **كلثوم، ملاك، نرمين، دنيا، روان، أميمة** ".

إلى كل حامل للقب **شابي** و**بومعراف**.

إلى صديقاتي الغاليات: **لميس، شيماء ز، مسعودة، نور الهدى س.**

شابي نور الهدى

فهرس المحتويات

المحتويات	الصفحة
شكر وعرفان	
الإهداء	
فهرس المحتويات	
مقدمة	أ-ب-ج-د-ه
الفصل الأول: الارهاصات الأولى للسلطة في فكر فوكو	
تمهيد	14
المبحث الأول: في مفهوم السلطة	15
المطلب الأول: تعريف السلطة	15
المطلب الثاني: المفاهيم المتاخمة للسلطة	18
المبحث الثاني: التأسيس لمفهوم السلطة عند فوكو	26
المطلب الأول: تأثير نتشه على فوكو	26
المطلب الثاني: الأحداث الطلابية في فرنسا	28
المبحث الثالث: المنهج الأركيولوجي الفوكوي ودوره في التأسيس للسلطة	31
المطلب الأول: تعريف المنهج الأركيولوجي	31
المطلب الثاني: آليات المنهج الأركيولوجي	34
خلاصة الفصل	36
الفصل الثاني: المثقف من سلطة الخطاب إلى خطاب السلطة	
تمهيد	38

المبحث الأول: فوكو والمثقف	39
المطلب الأول: تعريف المثقف	39
المطلب الثاني: مفهوم المثقف عند فوكو	43
المطلب الثالث: دور المثقف في المجتمع	46
المطلب الرابع: الممارسات السياسية السلطوية التي تتحكم في المثقف	48
المبحث الثاني: فكر فوكو تجاه السلطة وعلاقتها بالمثقف	52
المطلب الأول: هدم فوكو للتصور القديم للسلطة	52
المطلب الثاني: مفهوم السلطة عند ميشيل فوكو	54
المطلب الثالث: الطرح الذي تبناه فوكو حول علاقة المثقف بالسلطة	56
المبحث الثالث: الخطاب وعلاقته بالسلطة والسياسة	59
المطلب الأول: علاقة الخطاب بالسلطة	59
المطلب الثاني: علاقة الخطاب بالسياسة	62
خلاصة الفصل	66
الفصل الثالث: أبعاد نظرة فوكو للسلطة وحدودها	
تمهيد	68
المبحث الأول: السلطة وتجلياتها	69
المطلب الأول: تجلي السلطة في الجنون	69
المطلب الثاني: تجلي السلطة في السجن	74
المطلب الثالث: تجلي السلطة في الجسد	76
المبحث الثاني: امتداد فكرة السلطة عند فوكو والانتقادات الموجهة له	78
المطلب الأول: امتداد فوكو في معاصره دولوز	78
المطلب الثاني: امتداد فوكو في فكر ادوارد سعيد	81
المطلب الثالث: قراءة تحليلية نقدية	84

خلاصة الفصل	87
خاتمة	89
قائمة المصادر والمراجع	92

مقدمة

مقدمة:

إنّ موضوع المثقف والسلطة من بين الموضوعات المثيرة للجدل قديما وحديثا وآنيا، فنجده مطروح منذ القدم وله جذور تاريخية طويلة يعاد تشكلها عبر العصور تحت عناوين ومسميات مختلفة: المثقف والسلطة، الفيلسوف والملك، العلامة والأمير، المفكر والسلطان...وغيرها من المسميات أو العناوين التي نقلها لنا التاريخ الإنساني، كما أننا نجد معظم الفلاسفة تناولوا هذا الموضوع بما في ذلك القدماء أي يتعلق الأمر بموضوع مطروق بكثرة، أفلاطون مثلا تناول الموضوع في محاورة الجمهورية، ولو نعود إلى أعمال غرامشي حول ما سماه بالمثقف العضوي، ومن ناحية أخرى سارتر المثقف الملتزم، أما بالنسبة لفوكو فحينما يعرض لنا فكرته حول المثقف والسلطة أو يتناول العلاقة بينهما فهو أراد أن يبين أو يظهر كيف تتخذ السلطة انتاج المعرفة وكيف تنتج المعرفة لتتمكن من السيطرة على الآخر، وكيف ترسخ قوتها ممسكة بزمام الأمور بتقييد الأفراد حتى يصبحوا أتباعا لأيديولوجيتها، في حال رفض الفرد للامتثال تمنعه من الامتيازات وتجده محروما من أبسط حقوقه. والمثقف كفرد ليس خارج عن أنساق السلطة بل هو جزء منها أيضا، وهنا تأتي رؤية فوكو للمثقف كعنصر محوري ليفحص الطرق التي يمكن بها للمثقفين أن يتفاعلوا مع السلطة سواء عبر التأثير فيها وتقويضها وتغيير مسارها ونسف قواعدها وفي ذات الوقت يمكنهم حتى الخضوع لها.

1-إشكالية البحث

وفي إطار تناول دور المثقف وتأثيره على السلطة في فكر ميشيل فوكو من الضروري أن نطرح الإشكالية التالية: **ما طبيعة العلاقة بين المثقف والسلطة عند ميشيل فوكو؟**

2-التساؤلات الفرعية

ولتحليل هذه الإشكالية والغوص في عمقها والإجابة عنها نحتاج إلى تقصي جملة من الأسئلة الفرعية:

- ماهي الأسس التي انطلق منها فوكو في التأسيس لمفهوم السلطة؟
- ما هو الدور الذي ينبغي على المثقف الحقيقي أن يلعبه في المجتمع وفقا لميشيل فوكو؟
- هل للمثقف الحرية في التعبير والنقد أم أنه مقيد ومكبل ومجرد أداة في يد السلطة؟
- ماهي الآثار الناجمة عن تعدي وتجاوز المثقف لما تقوله السلطة؟

3- منهج الدراسة

ولقد اعتمدنا في دراستنا على المنهج التحليلي، وهو المنهج المحوري والغالب من خلال تحليل وتفكيك عناصر الموضوع، أما المنهج التاريخي فقد استخدم كمنهج ثانوي بالرجوع إلى من تأثر بهم فوكو في بلورته لمفهوم السلطة، وفي الفصل الأخير استخدمنا المنهج النقدي بعرض الانتقادات الموجهة لفوكو.

4- الدراسات السابقة

لقد قمت بالاطلاع على مجموعة من الدراسات منها ما هي دراسات على شكل مقالات، ومنها ما هي مذكرات تخرج سابقة تناولت الموضوع من قريب أو بعيد نذكر أهمها:

- مذكرة ماستر بعنوان "**الخطاب والسلطة في الفكر السياسي المعاصر ميشيل فوكو انموذجا**"، للطالب نعيم زايدي: فمن خلالها تمكنت من فهم التمايز بين الخطاب والسلطة، والخطاب والسياسة، ومكنتني من فهم كيفية استخدام الخطاب للتأثير في النظم السلطوية والسياسية على حد سواء لأستطيع بذلك التمييز بين الأبعاد المختلفة للخطاب التي تشكلها السلطة وتلك التي تشكلها السياسة.

- مقالة تحت عنوان "**جدلية المعرفي والسياسي عند ميشيل فوكو**"، للأستاذ اسماعيل نقاز: وقد أفادتني هي الأخرى لأنها ذات صلة قريبة بموضوعي، حيث قدمت لي تفسيرا واضحا فقد درست الموضوع بطريقة أقل تعقيدا، ففهمت من خلالها الكثير في القليل.

5- أسباب اختيار الموضوع

أ- الأسباب الموضوعية

الدوافع الموضوعية لهذا الاهتمام بالموضوع تتمحور حول الكشف عن خبايا العلاقة الحساسة والتفاعلات بين المثقف والسلطة والتأثير بينهم باستخدام الحفر الأركيولوجي، وتحليل مواقف فوكو المعقدة من هذه العلاقة باستنطاق موقفه من مصادره مباشرة واستكشاف الصوت الحقيقي لفوكو، واستنطاق أفكاره ومفاهيمه بشكل مباشر لا بمحاكاته من خلال الآخرين.

ب-الأسباب الذاتية

تمثلت الدوافع الذاتية في ميولي وشغفي للفلسفة الغربية المعاصرة، والدافع الأهم هو رغبتي في فك شفرات أثارت حيرتي واشعلت الفضول والرغبة داخلي في الكشف عنها وخاصة معرفة الدافع الرئيسي وراء اعتماد فوكو في مصادر أبحاثه على أرشيف المستشفيات، والسجون، الجامعات... بدل الاكتفاء بالعودة لما خلفه سابقوه.

6- أهداف البحث

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق عدة أهداف أهمها:

- استكشاف دور المثقف وتأثيره على السلطة؛
- تحليل العلاقة بين المثقفين وحرية التعبير وما يتطلبه من شجاعة لمواجهة أصحاب القرار؛
- فهم الكيفية التي يتم بها ممارسة السلطة في المجتمعات؛
- كشف الطرق والأساليب المختلفة للسيطرة.

7- صعوبات البحث

مما لا شك فيه أنه لا يوجد بحث يخلو من الصعوبات، والصعوبات التي واجهتني خلال فترة البحث لم تكن عائقا بل كانت الحافز لبذل المزيد من الجهد والتفاني خاصة إذ بالفيلسوف الذي قمت بدراسته فيلسوف معاصر، وكما هو معروف كل ما هو معاصر معقد يحتاج إلى تحليل وفهم عميق بشكل كبير فماذا لو ارتبط بآلة تفكيك جبارة وقد لا نبالغ إذا قلنا معقدة ومتشعبة للغاية تحتوي تعقيدات عميقة تتطلب الكثير من القراءة والتحليل والدراسة المستفيضة ليفهم بشكل كامل فغالبا ما يتقاطع فكره مع مجالات مختلفة كالتاريخ، الأنثروبولوجيا، والسياسة مما يتطلب فهما شاملا لهذه التخصصات. وأيضا ممارسته للسلطة من منظور واسع جدا بحيث لا يقتصر على السياسة فحسب بل يشمل العلاقات الاجتماعية والثقافية والتاريخية بشكل عام مما يعقد عملية الفهم، ومع ذلك فإنه لم يكن إلا تحديا مفيدا في فهم المثقف والسلطة والمعرفة والخطاب... وقد تمكنا من حل جل الأفكار الضمنية التي كانت غامضة في البداية.

8- خطة البحث

قصد الإلمام بالجوانب الرئيسية للبحث وبغية الإجابة عن الإشكالية المطروحة تم تقسيم البحث إلى ثلاثة فصول، تسبقهم في ذلك مقدمة وتليهم خاتمة.

- **مقدمة:** التي هي باب البحث تضمنت تمهيد فيه شرحا عاما لإعطاء فكرة مبدئية حول الموضوع، وإشكالية البحث، وما تفرع عنها من أسئلة جزئية، ثم المنهج المناسب والمتبع لإتمام البحث، وبعد ذلك استعرضنا الأعمال والأبحاث المماثلة التي ارتبطت بالموضوع وساعدتنا وسهلت لنا انجازه، إضافة للدوافع وراء اختيار الموضوع، وأهداف الموضوع والصعوبات التي واجهتنا أثناء عملية انجازه، وكذا خطة البحث التي هي عبارة عن عرض لكيفية تقسيم البحث والفصول التي سيشملها.

- **الفصل الأول للبحث:** وهو مهم في فهم الأساس الذي تقوم عليه أفكاره التي طورها، فيما بعد تم تقسيمه إلى تمهيد وهو لمحة عما سيتم تقديمه في الفصل ويستعرض الركائز الأساسية التي سيتم بناء الفصل عليها. وثلاث مباحث، المبحث الأول: ركزنا فيه على تعريف السلطة بشكل عام والتعرف على أهم المفاهيم المرتبطة بها، أما المبحث الثاني: تناولنا فيه كيفية تشكل مفهوم السلطة عند فوكو بعرض أهم العوامل الفكرية والتاريخية التي شكلت فهم فوكو للسلطة، والمبحث الثالث: غصنا فيه في منهج فوكو الأركيولوجي الذي اعتمد عليه بشكل كبير في دراسته حول السلطة، ثم خلاصة الفصل وفيها تلخيص لما تم مناقشته في الفصل.
- **الفصل الثاني للبحث:** الذي يناقش العلاقة بين المثقف والسلطة، وكيف يتأثر بها أو يأثر عليها فقسمناه إلى: تمهيد وثلاثة مباحث، المبحث الأول: يهتم بدراسة دور المثقف في فكر فوكو بالإضافة إلى كيفية ممارسات السلطة عليه من خلال عدة أوجه مثل اللغة، الدين، المجتمع، والمبحث الثاني: ضبطت فيه وجهة نظر فوكو حول السلطة وانطلقنا من خلال تفنيده أولا للنظريات الكلاسيكية ثم عرض مفهومه للسلطة، والعلاقة المتبادلة بينهما وبين المثقف، والمبحث الأخير في هذا الفصل خصصته لضبط العلاقة بين كل من الخطاب والسلطة، والخطاب والسياسة، وخلاصة للفصل.
- **الفصل الثالث للبحث:** يستكشف هذا الفصل بشكل أكثر عمق أبعاد السلطة كما عرضها فوكو. يتكون من تمهيد ومبحثين، المبحث الأول: يتناول المؤسسات التي تعتمدها السلطة كوسائل لفرض وإدامة نفوذها، وكيفية عمل هذه المؤسسات، وفي المبحث الثاني: تطرقنا فيه إلى امتداد وتأثير فكر فوكو على المستوى الغربي بعرض انموذج غربي " جيل دولوز" وانموذج عربي "ادوارد سعيد" لتوضيح كيف تم تبني أو تطوير أفكاره حول السلطة في سياقات مختلفة، وفي الجزء الأخير من الفصل قمنا بمناقشة النقاط التي طرحها فوكو والتي قوبلت بالانتقاد ثم خلاصة.
- **خاتمة:** تضمنت حوصلة للموضوع، وأهم النتائج المتوصل إليها.

الفصل الأول

الارهاصات الأولى للسلطة في فكر فوكو

- **المبحث الأول:** في مفهوم السلطة
- **المبحث الثاني:** التأسيس لمفهوم السلطة عند فوكو
- **المبحث الثالث:** المنهج الأركيولوجي الفوكوي ودوره في التأسيس لمفهوم السلطة

تمهيد:

يكتسي البحث في حقل السلطة أهمية قصوى تعكسها بوضوح ردود الفعل الكثيرة والاهتمامات الواضحة من قبل العلماء السياسيين أو الدارسين في الشأن الاجتماعي أو الفلسفي... لذا فقد عرف مجالها البحثي اتساع، ونجد فوكو من بين الذين خاضوا في هذه المشكلة وأولاها العناية الكافية في الدراسة والتحليل العميق لطبيعتها وكيفية تشكلها وممارستها في المجتمع، على اعتبار أنها همشت أو تم تبسيطها عل حد قوله، ليعيد طرحها مجددا مستخدما منهجه الحفري وهو المنهج الأهم عند فوكو لأنه جعله يطرح العديد من الأسئلة حول علاقة السلطة بالمعرفة، وحاول أن يكشف به طبيعة البنى الخفية وكيفية استخدام المعرفة في تشكيل السلطة؟ وعلاقة الخطاب بالسلطة، والعلاقة بين السلطة والمثقف؟ هي كلها أسئلة تدور ضمن الدراسات الحفرية الفوكوية، لذلك أضحَت السلطة الآن من المواضيع الدسمة التي تستحق الدراسة والاهتمام، هذا ما يدفعنا للتساؤل التالي:

ما مفهوم السلطة؟ وكيف ساهم المنهج الأركيولوجي الفوكوي في التأسيس للمفهوم؟

المبحث الأول: في مفهوم السلطة

المطلب الأول: تعريف السلطة

التعريفات كثيرة والمعاجم متعددة وبالتالي لا يوجد تعريف واحد ودقيق وشامل لذلك سنحاول ضبط التعريف على الصعيدين اللغوي والاصطلاحي:

أ- التعريف اللغوي:

لقد ورد تعريف السلطة في أكثر من معجم فجاء في لسان العرب" لابن منظور":

"السلطة من السَّلاَطة: القهر، وقد سلَّطهُ الله فتسلط عليهم، والاسم سُلطة بالضم، والسَّلْطُ والسَّليطُ: الطويل اللسان، والأنثى سَليطة وسَلطانةٌ، وقد سَلُطَ سَلاَطَة وسَلُوطة، ولسان سَلْطٌ وسَليطٌ كذلك، ورجل سَلِيطٌ أي فصيح حديد اللسان بين السَّلاطة والسَّلُوطة، هو أَسْلَطُهُمْ لِسَانًا وامرأة سليطة أي صخَّابَة."[1]

وجاء التعريف بأكثر من مرادف للسلطة: السَّلاطة، وسَلْط، وسَليط، وسَلوطة، ولكن كلها تجتمع في معنى واحد واستخدمت عند العرب قديما للدلالة على قوة البرهان والحجة وفصاحة اللسان ومتانة الأدلة، وحسن القيادة، والسلاسة في الحوار للتأثير على الآخرين واستمالتهم.

كما يعرفها جميل صليبا في معجمه "المعجم الفلسفي" بأنها: " القوة، والقدرة على الشيء والسُلطان الذي يكون للإنسان على غيره، ولها عدة معاني: السلطة النفسية والشرعية، والدينية...، وجمع سلطة سلطات وهي الأجهزة الاجتماعية التي تمارس السلطة كالسلطات السياسية، السلطات التربوية، والسلطات الدينية والسلطات القضائية وغيرها." [2]

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، ج 7، دار المعارف، بيروت، ص320.

[2] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص670.

ويعني ذلك بأنَّ السلطة هي امتلاك الإنسان القدرة على فرض وممارسة قوته والتأثير والتحكم في الأفراد والجماعات، ويشير التعريف إلى تعدد الأنظمة المختلفة في ممارسة السلطة والقوة على الجهات التي تمارس فيها، فلم تصبح فكرة أو مصطلح السلطة ينظر لها من الناحية السياسية فقط بل نجدها متداولة في شتى الميادين والمجالات ويشاركها في ذلك سلطات مختلفة كالسلطة الدينية، التربوية، القضائية....

ب- التعريف الاصطلاحي:

هذا المصطلح المحوري والجوهري الذي يمثل مفهوما مركزيا في عملية البحث عائم ومعقد من الصعب حصره في تعريف واحد فقد اختلف الفلاسفة، والعلماء الاجتماعيين والمختصين في الشَّأن السياسي في ضبط تعريف شامل له، لذلك كان لابد من الاقتصار على بعض التعريفات لكن بأكثر عمق ممكن وبشكل مستفيض في التناول والتحليل، ومن بين التعريفات ما يلي:

- يعرف السوسيولوجي الألماني ماكس فيبر (1864-1920) السلطة "أنها ضرورة إلزامية في التنسيق بين فئتين، بمعنى أنَّ هناك مصدر يعطي أوامر محددة تُفرَضُ على مجموعة معينة على الأشخاص طاعتها." [1]

نجد أن فكرة فيبر تهدف إلى القول أنّ السلطة هي عبارة عن علاقة شرعية قانونية أو بلغة فيبر إلزامية تعسفية تفرض علىB الخضوع والامتثال والطاعة والالتزام لـ A إراديا لكن بشكل يجعله مدركا أنه لا شيء يتعارض مع حريته وسلب حقوقه.

[1] نقلا عن: فريدة أبو عز الدين: ما هي السلطة؟ مجلة الفكر العربي، بيروت، العدد33، 1983، ص32.

- ويضيف برتراند دي جوفنال(1903-1987) في كتابه المعنون بـ " في السلطة، التاريخ الطبيعي لنموها"، " السلطة أكثر قدما وأساسية من ظاهرة الدولة، والسيطرة الطبيعية لبعض الأفراد على بعضهم الآخر هي أساس التنظيمات والعلاقات الإنسانية والتطور البشري." [1]

يبدو من خلال هذا أنّ صاحب النص يشير إلى أنّ مفهوم السلطة أقدم وأسبق من حيث النشوء على الدولة، وأنّ أولى أسباب نشأة الدولة ككيان سياسي ومنظم كانت كرد فعل أو استجابة للنفوذ أو الهيمنة التي يتمتع بها ويمتلكها بعض الأشخاص على حساب البعض الآخر، وهذا النفوذ هو الذي يحقق النظام والاستقرار الاجتماعي وتقدم الدولة.

- خلافا للتصور الذي قدمه فيبر حنة ارندتHannah Arendt (1906-1975) تذهب في تعريفها للسلطة في كتابها "العنف" أنها:" قدرة الإنسان ليس فقط على الفعل، بل على الفعل المتناسق، السلطة لا تكون أبدا خاصية فردية بل إنها تعود إلى مجموعة، وتظل موجودة طالما ظلت المجموعة بعضها مع بعض." [2]

ما نستخلصه من هذا أنّ ارندت تؤكد على أنّه لا وجود لصاحب سلطة دون جماعة وهي ضرورة حتمية لا يجب الخروج عنها فوجود صاحب السلطة أو المنصب محكوم بوجود الشعب أي تغليب المجموعة على حساب الفرد، وبقاء السلطة واستمرارها مرهون بالتماسك والتفاعل بين الجماعة.

[1] نقلا عن: محمد عبد القادر ربابعة، مشروعية السلطة في الفكر الفلسفي المعاصر المفهوم، الأسس والمقومات، دراسات العلوم الاجتماعية، المجلد 46، العدد 1، 2019، ص106.

[2] حنة ارندت: في العنف، ترجمة: ابراهيم العريس، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص39.

المطلب الثاني: المفاهيم المتاخمة للسلطة

إنّ المطلب الثاني من هذا المبحث سوف نخصصه إلى التعرف على أهم المفاهيم المرتبطة بالسلطة، والتي غالبا ما يحدث خلط وعدم التمييز بينها وبين السلطة فهذه الأخيرة قد تستخدم تارة للدلالة على القوة وأيضا السيطرة، وقد تعني الحكم في بعض الأحيان، لذلك لم نكتف بتعريفها وإنما كان لابد من الإشارة إلى أهم المفاهيم الأساسية التي ترتبط وتلتصق بها والتي لها تفاصيل مختلفة عنها، على الأقل بتقديم شروحات مبسطة وشاملة، ولعل أبرز هذه المفاهيم هي:

1-السياسة: (Politics)

أ- التعريف اللغوي:

أصل كلمة سياسة في لسان العرب والمعنى الاشتقاقي لها:" من ساس يسوس، وساس الأمر سياسة: أي قام به وسوسه القوم: جعلوه يَسُوسُهم، والسياسةُ: فعل السائس: يقال هو يَسُوسُ الدَّواب إذا قام عليها وراضاها. والسياسة القيام على الشيء بما يصلحه، وسوَّسَ له أمرًا: أي روَضَهُ لذلك" [1]

وتقال السياسة أيضا "على تدبير المعاش بإصلاح أحوال جماعة مخصوصة على سنن العدل والاستقامة، ومنها السياسي Politicien وهو رجل الدولة العادل أو رجل الحُكم الحاذق." [2]

فاستخدمت مما سلف السياسة عند العرب كوسيلة أو أداة لتولي أمور الناس وتلبية حاجاتهم وتوجيههم في تسيير وتدبير أمورهم.

[1] ابن منظور: لسان العرب، ج6، دار صادر، بيروت، ص108.

[2] عبد المنعم الحفني: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، ط3، القاهرة، 2000، ص424.

ب- **التعريف الاصطلاحي:**

- يعرفها المعجم الفلسفي:" فرع من العلم المدني يبحث في أصول الحكم وتنظيم شؤون الدولة "[1] يتضح من التعريف الآنف الذكر أنّ مجال السياسة يُعنى بالمجتمعات الإنسانية والشأن العام ككل.

- ويعرفها ميكيا فيلي بأنها:" فن الإبقاء على السلطة، وتوحيدها في قبضة الحكام، بصرف النظر عن الوسيلة التي تحقق ذلك.[2]

كما هو معلوم أنّ الغاية تبرر الوسيلة حسب ميكيا فيلي، فغاية الحاكم الوصول إلى السلطة وأن يحافظ على استقرار وأمن الدولة أمّا الوسائل فلا تهم.

- أما مالك بن نبي خلاف ما قدمه ميكيا فيلي نجده يربط السياسة بالأخلاق ويرى أنه على من يسير شؤون الأمة أن يتحلى بالأخلاق وأن يخضع لمبادئ الدين، فالأخلاق جوهر السياسة عنده ويتجلى ذلك في قوله:" السياسة من دون أخلاق ماهي إلا خراب الأمة."[3]

وتأسيسا على ما تقدم من تعريفات يمكن القول أنّ السياسة تعني فن الوصول إلى السلطة على اعتبار أنّ أي سياسي في العالم في البداية يسعى أولا للوصول للحكم والسلطة والحفاظ عليها ثم بعد ذلك تسيير شؤونها على أحسن حال.

[1] مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، د ط، القاهرة، مصر، 1983، ص99.

[2] نقلا عن: علاء محمد مطر: مبادئ العلوم السياسية، جامعة الإسراء، فلسطين، ط2، 2018، ص5.

[3] مالك بن نبي: بين الرشاد والتيه، دار الفكر المعاصر، ط1، بيروت، 2002، ص80.

2-الدولة:

يعتبر مصطلح الدولة من أهم المصطلحات الأكثر رواجا خاصة في الجانب السياسي، وقد تعددت التعاريف لهذا المصطلح لا سيما من الناحية الاصطلاحية والجانب اللغوي.

أ- التعريف اللغوي:

- جاء في لسان العرب لابن منظور في تعريفه للدولة:" الدولة والدولة: العقبة في المال والحرب سواء، والدولة بالفتح في الحب أن تدل إحدى الفئتين على الأخرى، يقال كانت لنا عليهم الدولة، الجمع الدول: والدولة بالضم في المال. يقال صار الفئ دولة بينهم يتداولونه مرة لهذا ومرة لهذا."[1]

التعريف المذكور لابن منظور يشير إلى عدة معاني للدولة بناء على السياق الذي تستخدم فيه ففي الصراع والحرب تعني الغلبة والنصر الذي يحصل عليه طرف على الآخر، وفي المال تستخدم هنا للإشارة إلى تداول المال بين الناس، بحيث يكون ملك لشخص ما في وقت ما ثم ينتقل إلى شخص آخر بالتداول.

- أمّا التعريف الذي قدّمه جميل صليبا لكلمة "الدولة" فلا يبتعد كثيرا عن التعريف الذي قدّمه ابن منظور:" الاستيلاء والغلبة والشيء المتداول فيكون مرة لهذا ومرة لذاك، والدولة في الحرب بين الفئتين أن تلزم هذه مرة وهذه مرة، ودالت الأيام دارت، والله يداولها بين الناس."[2]

أي أن الدولة تعني السيطرة والقوة والنصر والتداول سواء كان في المال أو السلطة، والغلبة المتبادلة في الحرب بين فئتين المتحاربتين أو المتقاتلتين، كما يشير إلى تغير الأيام تقلب الأوضاع والنصر بين الناس، مما يبرز الطبيعة المتغيرة للسلطة والنفوذ في الحياة.

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، ص1455.

[2] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص567.

- وقد وردت كلمة دولة في القرآن الكريم بشكل صريح في سورة آل عمران:" وتلك الأيام نداولها بين الناس."[1]

كما وردت في الآية السابعة من سورة الحشر في قوله تعالى:" ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إنّ الله شديد العقاب."[2]

ب- التعريف الاصطلاحي:

اختلفت التعريفات الاصطلاحية التي وضعها الفلاسفة والمختصين لمصطلح الدولة.

- يعرفها عبد المنعم الحنفي في معجمه الشامل لمصطلحات الفلسفة على أنها:" تنظيم سياسي يكفل حماية القانون وتأمين النظام لجماعة من الناس تعيش على أرض معينة بصفة دائمة."[3]

فالدولة إذن عبارة عن كيان سياسي بين القوانين ويعمل على تنفيذها ويؤمن النظام والاستقرار ومنع الفوضى لشعب يقيم بشكل دائم ومستمر على أرض محددة.

- أما تعريف الدولة وفقا لجميل صليبا:" جمع من الناس مستقرون في أرض معينة مستقلون وفق نظام خاص، أو هي مجتمع منظم له حكومة مستقلة وشخصية معنوية تميزه عن غيره من المجتمعات المماثلة له."[4]

يدل تعريف صليبا للدولة أنها تعني السيطرة والقوة والنصر، والتداول سواء كان في المال أو السلطة والغلبة المتداولة في الحرب بين الفئتين المتحاربتين أو المتقاتلتين، كما يشير إلى تغير

---

[1] آل عمران: الآية 140.

[2] سورة الحشر: الآية7.

[3] عبد المنعم الحنفي: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، ط3، القاهرة، 2000، ص352.

[4] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص548.

الأيام وتقلب الأوضاع والنصر بين الناس، مما يبرز الطبيعة المتغيرة للسلطة والنفوذ في الحياة.

- وتعرف كذلك بأنها:" مجتمع منظم له حكومة مستقلة تميزه عن غيره من المجتمعات المماثلة له."[1]

ومنه يمكن القول أنّ الدولة تتألف من حكومة تحمل الصلاحيات الكاملة لإدارة شؤون البلاد داخليا وتستقل وتختلف بقراراتها عن غيرها من المجتمعات.

3-السيادة: (Sovereignty)

أ- التعريف اللغوي:

" السيد في اللغة المالك والمُلك، سيّد، العبيد والخدم والمتولي الجماعة الكثيرة، وكل من افترضت طاعته وسيّد كل شيء وأشرفه وأرفعه وأعلاه، ومنه قولهم: الخير الأعلى."[2]

أي مفهوم السيادة في اللغة يطلق على كل من يمثل مكانة عليا والأكثر سمو ورفعة، وله سلطان على غيره أو يمتلكه ويتحكم فيه.

ب- التعريف الاصطلاحي:

هي السلطة العليا المطلقة التي تمارسها الدولة وتطبق على جميع المواطنين بلا استثناء ولها الحق في اصدار القوانين والتشريعات والحرية التامة في ابرام المعاهدات وإعلان الحروب، وعقد الصلح والسيادة الشاملة والدائمة.[3]

[1] مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، 2007، ص315.

[2] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص678.

[3] وضاح زيتون: المعجم السياسي، دار أسامة المشرق الثقافي، ط1، الأردن، عمان، 2010، ص214.

" والدولة ذات السيادة الكاملة هي الدولة التي تتمتع باستقلال كامل في مباشرتها سيادتها الخارجية والداخلية فلا تخضع في ذلك لسيطرة أو هيمنة أية دولة أو هيمنة دولة أخرى تحت أية صورة من الصور."[1] أي للدولة الصلاحية الكاملة في اتخاذ القرارات السياسية دون أي ضغط خارجي من دول أخرى.

4-القوة: (Power)

أ- التعريف اللغوي:

يعرفها جميل صليبا في "المعجم الفلسفي" بأنها:" القدرة والشدة والطاقة وضدها الضعف، تقول قوة الجسم، قوة الفكر، وقوة الغريزة. ومنه قولهم استولى على الشيء بالقوة، وخضع للقوة، والقوة بهذا المعنى مقابلة للحق، لأنها ليست حق وإنما هي وسيلة للدفاع عن الحق، أو لمنع صاحب الحق من التمتع بحقه."[2] وهي تدل هنا على مدى ارتباطها بالتحمل والصّرامة، والاستطاعة والتأثير، والقدرة الفائقة سواء البدنية أو الفكرية على حد سواء.

ب- التعريف الاصطلاحي:

- تُعرّف القوة:" أنها ادماج المقدرة ثم المرور إلى الفعل "[3]، أي أن القوة لا تقاس فقط بالتخطيط الفعلي وإنما لابد أولا الاستفادة من المهارات والقدرات الشخصية والتصميم والتخطيط ثم بعد ذلك يدمجها مع بعضها البعض لتتحول إلى فعل فعال.
- وهناك من يعرف القوة أنها التأثير والتحكم والسيطرة المباشرة أو غير المباشرة لفرد معين أو جماعة لإثارة القضايا السياسية وهي عملية توزيع القيم وما يترتب عليه من مقدرة في تقرير أو تأثير في الموقف على الاتجاه الذي يفضله صاحب القوة.[4]

---

[1] هاشم بن عوض بن أحمد آل إبراهيم: سيادة الدولة بين مفهومها التقليدي وظاهرة التدويل، رسالة لنيل شهادة الماجستير في القانون العام، جامعة الشرق الأوسط، كلية الحقوق، 2013، ص28.

[2] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص201.

[3] خطاب عبد المالك: التوجهات المختلفة في النظر إلى ظاهرة القوة، مجلة المعيار، مج7، العدد2، 2018، ص8.

[4] إسماعيل علي سعد: نظرية القوة في علم الاجتماع السياسي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989، ص120.

- ويعرفها عالم السياسة الأمريكي جوزيف ناي (Joseph Nye) على انها:" امتلاك أوراق اللعب الرابحة في لعبة البوكر الدولية، فلو أظهرت أوراق اللعب الرابحة فسيفضل الآخرين الانسحاب من اللعبة، كما لو أنه لو لعبت بطريقة محدودة أو سقطت ضحية للاحتيال والخداع فسوف تتعرض للخسارة أو على الأقل تفشل في تحقيق النتيجة التي ترغب بها." [1]

والمقصود من أن ناي يشبه القوة بالأوراق التي يحظى بها اللاعب في جولة البوكر الدولية: فاللاعب حينما تكون لديه القدرة الفائقة على التحكم في الوضع بشكل صائب ويعزز فرصه بشكل أكبر على الفور فالطرف الآخر يفضل الانسحاب والتخلي عن اللعبة بدل المنافسة ونفس الشيء بالنسبة للدول فإذا ما أظهرت قوتها السياسية أو العسكرية، الاقتصادية، الثقافية، التقنية... بطريقة مقنعة فيمكنها دفع الدول الأخرى على التصرف بما يخدم مصالحها وأهدافها بدون إجبار منها أو إكراه، وفي الوقت نفسه قد تتعرض تلك الدول للخداع أو الاحتيال من قبل الأطراف الخارجية عندما يتعذر عليها التحكم والسيطرة على الوضع بشكل فعال.

- أما الموسوعة السياسية فتعرف القوة على أنها:" مجموع أدوات الضغط والإكراه والتدمير والبناء التي تستخدمها الإدارة والذكاء السياسيان المرتكزان على مؤسسات معينة أو من أجل السيطرة على قوة أخرى أو إرغامها على القبول بنظام معين أو من أجل كسر مقاومة أو تهديد ما، أو مقاومة قوة عدوة أو الوصول أيضا إلى تسوية وتحقيق توازن بين القوى الموجودة على ساحة الصراع." [2]

إن هذا التعريف للقوة يصفها على أنها: القدرة في التأثير على القرارات والسلوكيات سواء كان ذلك لتحقيق مصالح محددة أو لاكتساب السلطة، أو الحفاظ عليها أو لمواجهة تهديدات

[1] جوزيف ناي: القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة، تر: محمد توفيق البجيرمي، العبيكان، الرياض، 2007، ص20.
[2] عبد الوهاب لحيالي: الموسوعة السياسية، ج4، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، د.س، ص824.

معينة... بمجموعة من الأدوات والوسائل والاستراتيجيات سواء كانت هذه الأدوات تتمثل في الضغط السياسي أو الإكراه بغرض دفع الطرف الآخر إلى الاستجابة لمطالب معينة أو ما تعلق منها بالقدرة على هدم وتقليص نفوذ الخصم باستعمال أدوات التدمير... بالإضافة إلى مجموعة من الوسائل الإيجابية كالبناء والتوسع أو لتسوية وتحقيق توازن بين القوى الموجودة على ساحة الصراع للوصول إلى حلول تحافظ على استقرار الأوضاع، ويعتمد استخدام هذه الأدوات على الذكاء السياسي والاستراتيجي أي على مهارة استخدامها بشكل فعال.

المبحث الثاني: التأسيس لمفهوم السلطة عند فوكو

المطلب الأول: تأثير نيتشه على فوكو

إنّ الأفكار الفوكوية سواء حول المعرفة أو ما تعلق بالخطاب أو القوة والسلطة بالتحديد هي نيتشاوية بالأساس، فيعتبر فريديريك نيتشه (Friedrech Nietzshe) (1844-1900) من أهم الركائز الأساسية التي رسم من خلالها فوكو تصوره حول السلطة، فهو أحد القلة النيتشاوية الحقيقية، وهو ما أكده جيل دولوز في جل كتاباته التي تظهر العلاقة الوطيدة والمباشرة بين الفيلسوفين وتُظهر تأثر فوكو بالمفاهيم والأفكار النيتشاوية وإعادة طرحها طرحا جديدا.

ويصرح فوكو قائلا: " أنا ببساطة نتشوي أحاول بقدر الإمكان أن أرى بخصوص عدد من النقاط بمساعدة نصوص نيتشه."[1]

ويمكن ابراز تأثر فوكو بنيتشه في النقاط التالية:

- لقد اهتم فوكو بالمناهج بدرجة أولى فهو بنيوي ومارس التفكيكية (تفكيكي) ثم بعد ذلك مارس الحفرية (أركيولوجي) وفي تحليله للسلطة استخدم واستعار المنهج الجينيالوجي لنيتشه وهو ما طرحه في مقال له بعنوان " نيتشه، الجينيالوجيا والتاريخ " وأيضا كتاب: " جينيالوجيا الأخلاق ".

وإذ كانت الجينيالوجيا généalogie تعني البحث عن الأصل أو المصدر فإن هدف جينيالوجيا نيتشه ليس البحث عن الأصل من أجل بلوغ الحقيقة بقدر ما هو هدم ونقد وزعزعة لما يعتبر مطلقا ثابتا، فقد سار فوكو سير نيتشه بمطرقته التي هدّمت وانتقدت كل الأفكار البالية وتجاوزت الميتافيزيقا والفلسفات المتعالية. يقول محمد الأندلسي في كتابه " نيتشه وسياسة الفلسفة ": " إنّ انتقاد نيتشه للحداثة وقيامه بجينيالوجيا للأفكار الحديثة في تجلياتها الأساسية:

[1] نقلا عن: معوشي حياة، حاج علي كمال: مفهوم السلطة، قراءة مقارنة بين ميشال فوكو وجان بوديار، مجلة أفاق للبحوث والدراسات، مج7، العدد1، 2024، ص4.

الفلسفة، العلم، الأخلاق، السياسة. يهدف إلى الوقوف على عادات وتقاليد في التفكير بالية وعتيقة في جوهرها."[1]

- " إنّ السلطة تمارس أكثر مما تمتلك"[2] أي أن السلطة عبارة عن تفاعل شبكة من العلاقات داخل المجتمع وليست حيازة دائما فهي لا تمارس من قبل أجهزة عليا على الأفراد بل تنتقل من خلال الأفراد في حد ذاتهم وهي تعكس الفكرة التي قدمها نيتشه " ففي تقدير نيتشه أن السلطة لا تحوزها قوة بعينها طالما أن القوى الفاعلة يمكن أن تتحول إلى " قوى ارتكاسيه " إذا ما استبطنت الشعور بالذنب، وليست السلطة وقفا على السيد لأن العبد يستطيع من خلال رد الفعل أن يمارس سلطة على السيد."[3]

في هذا السياق فالسلطة حسب نيتشه ليست حكرا للأقوياء على حساب المستضعفين فإمكان هذه الفئة أن تتمرد وتستخدم سلطة القوة أو السيطرة وهو ما يدعو إليه فوكو في كتاب" المراقبة والمعاقبة."

- كما أن فوكو" تحدث عن الفيزياء المجهرية أي أن السلطة تخترق العلاقات الاستراتيجية ضمن صراعات الحياة اليومية، والميكرو فيزياء تضفي على السلطة طابع التعدد والكثرة"[4] ويقصد بها الفيزياء الدقيقة للسلطة أو الفيزياء الدقيقة للقوة، وهو مفهوم لا ينظر للسلطة كشيء يُمارس من قبل الهياكل الكبيرة بل يتم توزيعها بين العديد من القوى المختلفة، على اعتبار أنها ليست ملك لقوة دون أخرى بل يتم توزيعها بين العديد من القوى المختلفة، ونجد أيضا نيتشه فيما سبق في نفس السياق يرى هو الآخر أن القوة لا تقتصر فقط على السيد أو القوي بل يمكن للهياكل الضعيفة أن تمتلك سلطة

[1] محمد الأندلسي: نيتشه وسياسة الفلسفة، دار توبقال، ط1، 2006، ص96.

[2] Michel Foucault : surveiller et punir, Gallimard, Paris, 1975, p35.

[3] نور الدين الشابي: فوكو قارئا نيتشه، دار الأمان، الرباط، ط1، 2016، ص108.

[4] محمد الطوالبة: السلطة والمقاومة والثورة عند ميشيل فوكو، مجلة جرس للبحوث والدراسات، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، مج20، العدد01، 2021، ص9.

التأثير والهيمنة، فهي ليست كيانا ثابتا أو مركزيا فهي ديناميكية يتم إعادة توزيعها داخل الشبكات الاجتماعية بشكل مستمر.

وفي الأخير يمكن التأكيد على أنه من الضروري العودة لنيتشه ولكل أفكاره التي لاقت رواجًا واعجابا من طرف ميشيل فوكو، وحاول أن يجسدها وخصوصا فيما يتعلق بتلك المفاهيم التي كان يدعو إليها فريديريك نيتشه من خلال السياق العام لفلسفته: مفاهيم النقد، والضرب بالمطرقة، والثورة على القيم، وتجاوز القيم الموجودة....

المطلب الثاني: الأحداث الطلابية في فرنسا

تمثل الثورة الطلابية في فرنسا (student Revolution in France) انتفاضة وحركة اجتماعية وسياسية وفكرية مست مختلف الشرائح الاجتماعية، هذه الحركة التي تحدت السلطات الاستعلائية القائمة وكسرت الحدود بين المركز والهامش، انخرط فيها العديد من الطلاب والعمال، كما شهدت تفاعل العديد من الفلاسفة والمفكرين على غرار جون بول سارتر وصديقته سيمون دي بوفوار، وليفي ستراوس. تضمنت مطالبهم التغييرات في النظام التعليمي السائد آنذاك وفي العمل، فبدأت كحركة طلابية ثم توسع نطاقها لتشمل الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وحتى الفكرية، حيث قامت بتحدي المؤسسات القائمة والمطالبة بالتغيير واستمرت تلك الاحتجاجات لشهر كامل، وخلال تلك الفترة شهدت شوارع باريس والمدن الفرنسية احتجاجات مكثفة ومواجهات مع الشرطة، وتأثيرها لم يكن حبيس المجتمع الفرنسي فقط بل أثرت على معظم الحركات الاجتماعية والثقافية في العديد من البلدان الأخرى. فقد شكلت هذه الأحداث منعطفا في الفكر الفرنسي عامة وفي فكر فوكو على وجه الخصوص على الرغم من أنه لم يشارك في الأحداث لتواجده بتونس في تلك الفترة إلاّ أنه عبَّر عن تضامنه مع الحركة، وقد زادت الانتفاضة من اهتمامه بشكل عميق ومتزايد بمسألة السلطة. وقدمت له دليلا ملموسا على ما كان ينظر له نظريا بأن السلطة تمارس من الأسفل مثلما تمارس من الأعلى وموزعة وليست مركزية فقد كان هناك على حد قول فوكو:

" طريقة واحدة في التفكير وأسلوب معين في الخطابات السياسية والأخلاقية لا يجب تجاوزها وتخطيها فإما أن تكون مع ماركس في كل شيء وألا تترك أحلامك تتيه عن فكر فرويد، وأن تعالج نسق الاحترام الدَّال باحترام كبير"[1] أي أن خطابات المفكر أو المثقف كانت قبل ذلك محدودة مسيطر عليها فكر فرويد أو ماركس، فلقد ساهمت الأحداث في تجاوز الأطر التقليدية الماركسية والفرويدية ودعت لحرية الفكر، داعية إلى فحص أشكال السلطة وكيفية تشكلها في المؤسسات الاجتماعية المختلفة مثل: الجامعات والسجون، والمستشفيات...[2]

ينظر إلى هذه الأحداث على أنها بداية لمرحلة جديدة لم تقتصر على فرنسا فقط بل مثلت نقطة تحول هاما في التاريخ ككل، حيث قيل:" ماي 68 هو بداية جديدة لفترة التاريخ الكوني."[3]

من بينت ثمار الحركة بروز فلسفة جديدة ركزت بشكل خاص على التحليلات والنقاشات حول "السلطة" مما أعطى الحرية لفلاسفة مثل: ميشيل فوكو وتلاميذه من بعده (فرنسوا أوالد، دانيال دفير، دريفوس، راينوف...) إلى تقديم تفسيرات جديدة وتقويض كل التفسيرات التقليدية للسلطة.[4]

نستنتج مما تقدم أن هذه الأحداث قدّمت نقطة تحول ونهج جديد لفوكو في تحليله للسلطة خارجا عن التحليلات التقليدية التي تجعل السلطة متمركزة في المركز (الدولة)، بعد الانتفاضة توزعت على كل مستويات المجتمع وطغت على مجموعة واسعة من المؤسسات على غرار السجون، المستشفيات، المدارس.... بعد الأحداث أصبح فوكو مهتما بشكل جلي وواضح بمسألة السلطة وكيف تتجسد في الحياة اليومية، وكيف يمكن فهمها كشيء يفعل أو يمارس بواسطة الأفراد، وليس فقط من قبل الذين يحتلون مراكز عليا (الدولة).

---

[1] نقلا عن: علي عبود المحمداوي: الفلسفة السياسية المعاصرة، دار الروافد الثقافية، ابن النديم للنشر والتوزيع،2012، ص92.

[2] جون ليتشه: خمسون مفكرا أساسيا معاصرا من البنيوية إلى ما بعد الحداثة، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، لبنان، 2008، ص234.

[3] زواوي رايس: تصور ميشيل فوكو للمؤسسة وبداية تشظي السُلط، مقاربات فلسفية، مجلد02، العدد03، 2015، ص3.

[4] محمد أمين بن جيلالي: ميشيل فوكو وسؤال السلطة، مرجع سابق، ص05.

المبحث الثالث: المنهج الأركيولوجي الفوكوي ودوره في التأسيس للسلطة

ميشيل فوكو يمثل علامة فارقة في الفلسفة المعاصرة عامة وفي المنهج في الفلسفة المعاصرة على وجه الخصوص ففلسفته لم تكن فلسفة تهتم بالموضوع بقدر ما كانت تهتم بالمناهج وتؤسس المناهج الفلسفية المعاصرة على غرار البنيوية والتفكيكية والحفرية أو ما تسمى بالأركيولوجيا.

المطلب الأول: تعريف المنهج الأركيولوجي

الأركيولوجيا:

- " تعني العلم الذي يُعنى بدراسة الحضارات التي شيَّدها الإنسان قديما باستعمال الأدوات والوسائل المختلفة بهدف الحفر والتنقيب عن الآثار والمعالم التي خلَّفتها تلك الحضارات"[1]

أي أنّ الأركيولوجيا تعني دراسة الثقافات والحضارات الإنسانية القديمة التي تركها الإنسان وراءه بالحفر أي أنّ دراسة الماضي لم تعد مرتبطة فقط بروايات شفوية أو شواهد مادية... وإنما التطور العلمي المهول أنتج لنا وسائل بحث حديثة نتمكن بواسطتها من التعرف على الحقبة الزمنية لكل حدث.

أما فوكو فقد استعمل هذا المفهوم لأكثر من مرة وفي جل كتبه، وفي أركيولوجيا المعرفة يؤكد على اهتمامه البالغ به حيث يؤكد في أركيولوجيا المعرفة (l'archéologie du savoir)

[1] عبد الحق طالبي: ميشيل فوكو وتجاوز المناهج الفلسفية التقليدية، مجلة منتدى الأستاذ، مج15، العدد01، 2019، ص4.

" لقد أطلقت على هذا التحليل وبكيفية رسمية اسم حفريات المعرفة "[1] حيث نقله من علم الآثار إلى الفلسفة والفكر، ولا يقتصر استخدام هذا المنهج فقط على العلوم بل يشمل التعامل مع النصوص الأدبية والفلسفية بالإضافة إلى القرارات السياسية.

- ويبرر فوكو اعتماده للأركيولوجيا كمنهج بقوله:" فقد سبق أن وجدت مناهج كثيرة قادرة على وصف اللغة وتحليلها، بحيث لا يمكن لأي كان أن يزهو بنفسه ويعجب بها، مدّعيا أنه يضيف منهجا جديدا إليها."[2]

أي أن استخدام فوكو للأركيولوجيا ليس إضافة جديدة فحسب بل هو محاولة لفتح افاق جديدة في فهم السلطة و استكشاف او استنطاق ان صح القول طبيعتها وتأثيرها على المعرفة و المجتمع، وفي وصف الممارسات الخطابية بطريقة مخالفة، بمعنى لا تستخدم الخطابات فقط كوسيلة للتواصل بل تستخدم لتحقيق وممارسة السلطة والبحث عن البدايات الأولى التي تشكلت في ظلها الخطابات، وهو ما فشلت المناهج التقليدية على تحقيقه لذلك قام بتجاوزها وتعويضها خاصة ما تعلق بالميتافيزيقا، إضافة إلى أنه أراد دراسة كل من التاريخ والفلسفة دراسة علمية متجاوزا بذلك كل الأفكار والمبادئ والمقومات الكلاسيكية.

- وبذلك يعرف فوكو الأركيولوجيا بقوله:" هو لفظ لا يتضمن أية محاولة للجري أو اللهث وراء البدايات بل يدل على الفكرة الأساسية والمحورية العامة لوصف هدفه في مستوى وجوده وفي مستوى الوظيفة العبارية التي تمارس عليه، والتشكيلة الخطابية التي ينتسب إليها والمنظومة العامة لظهورها. فالحفريات تصف الخطابات كممارسات محددة في عنصر نظام معين."[3]

[1] ميشيل فوكو: حفريات المعرفة، تر: سالم بفوت، المركز الثقافي العربي، ط2، 1987، ص125.
[2] المصدر نفسه، ص125.
[3] ميشيل فوكو: حفريات المعرفة، مصدر سابق، ص122.

يرى فوكو أن الأركيولوجيا لا تتمحور حول البدايات أو الأصل كتاريخ الفكر على سبيل المثال، بل يركز بدلا من ذلك على تحليل فهم كيفية تشكيل الأفكار أو الخطابات داخل المجتمع وكيف تتفاعل مع السلطة والمعرفة أو اللغة... وكيف يتم تشكيل هذه العلاقات، فصاحب النص أو الخطاب هناك دافع جعله يكتب، فما الدافع الذي جعله يكتب، والسلطة التي أملت عليه ما يكتب ثم التشكيلة الخطابية التي ينتسب إليها... فبعض الخطابات تغييبها يكون مقصود. وبعض الخطابات حضورها أو بروزها يكون مقصود كذلك، وهنا تدخل علاقة السلطة بالسياسة، أو بالخطاب (أو الممارسة الخطابية). فالحفريات جاءت لتصف الخطابات كممارسات محددة لنظام معين، فتدرس الأركيولوجيا الخطاب في المستوى الذي ظهر وبدأ فيه، والمستوى الذي بدأ يغيب فيه ثم في مستوى تلاشيه، وبهذا إن الأركيولوجيا دراسة نقدية لجل الخطابات التي عانت في مرحلة ما تشكل مركز الحقيقة. لأنه في نظره أن المناهج المعمول بها وبالتحديد المنهج التاريخي على وجه الخصوص غير قادرة على تحليل ووصف الخطاب لأنها اكتفت بالتعامل مع ظاهر النص أي بسطحية دون التعمق في باطنه، وعندما نتعامل مع الظاهر فسوف يزيحنا ويبعدنا عن الحقيقة، فهي مناهج لم تغص في عمق الحقيقة ولم تصل إلى مستوى العمق والشمول وإنما اكتفت بظاهر النص. وبالتالي اكتفت بالدلالة الأحادية دون العمل على تعدد المعاني أو الدلالات، وهاته المناهج التي تحد من النقد بالتركيز على القراءة لوحدها على عكس الجينيالوجيا التي تسعى إلى العمق في النقد فجاء فوكو متأثرا بها محاولا استثمار وتأسيس منهجه الجديد وهو الحفري.

المطلب الثاني: آليات المنهج الآركيولوجي

يتوفر المنهج الحفري الفوكوي على مجموعة من الأدوات والمصطلحات التي تعتبر مفاهيم أساسية في عملية الحفر والتنقيب، ولفهم هذا المنهج والإلمام بأهدافه فمن الضروري تتبع هذه الخطوات المتمثلة فيما يلي:

1. التشكيلة الخطابية:

تعتبر التشكيلة الخطابية من المفاهيم المركزية في مشروع فوكو الأركيولوجي حيث يسعى إلى تحديد وحدات صغيرة تشكل الخطاب، يمكن دراستها بشكل مستقل لكي نتمكن من فهمه على نحو كامل ناقدا للأساليب التقليدية في تقسيم وتحليل الخطاب كالأنماط والأجناس الأدبية والاستعمالات المنتشرة كالكتاب أو المؤلف ويعتبرها مجرد تجميع للأحداث داخل الخطاب دون استيعاب أو فهم للقوانين التي تحكمها، ومفهوم التشكيلة الخطابية لفوكو يسمح بالتمييز بين الألفاظ في سياقاتها المختلفة التي تتحكم في كيفية استخدام اللغة حسب كل مجال، فالملفوظات التي تستعمل في الطب مثلا تختلف عن تلك المستخدمة في اللسانيات أو الأدب.

ينظر فوكو للخطاب كمجموعة من الملفوظات ضمن تشكيلة خطابية واحدة إلا أن هذا المفهوم لا يقتصر على العلوم فقط بل يشكل بوجه عام جميع أنواع ومجالات المعرفة، ويسمح هذا المفهوم بتحديد كل مجموعة من الملفوظات بناء على السياق الاجتماعي والتاريخي الذي نشأت فيه أو يمكن تمييزها بمجموعة ملفوظات خاصة تنتمي إلى أيديولوجيا معينة كالخطاب (الشيوعي، الديني، السياسي،) وكأن هذا المفهوم يتناول مجموعة من الملفوظات تحت نوع واحد من الخطاب.[1]

[1] عبد الحق قاسمي: الخطوات المنهجية في تحليل الخطاب عند فوكو، مجلة السعودية للدراسات الفلسفية، الجزائر، العدد3، 2023، ص12.

2. تكون المفاهيم:

يستخدم فوكو في حفريات المعرفة مصطلح "تكون المفاهيم" ليشير إلى كيفية تطور هاته المفاهيم عبر التاريخ وتغيرها في السياق الثقافي والتاريخي باعتبارها لا تسير في خط ثابت مطلق وإنما نتاج أنظمة معرفية معينة، ويشير إليها أحيانا بالأطر الإبستيمولوجية التي يمكن من خلالها طرح المفاهيم والتعامل معها، ويعني ذلك فهم كيفية تشكل وتحول المفاهيم والمعرفة يكون بالتداخل بالدرجة الأولى مع السلطة أو بعبارة أصح مع ما يخدم السلطة فتصبح بعض المفاهيم مهيمنة بينما تهمش أو تغيب أخرى، فالمفاهيم تتطور بما يخدم السلطة السياسية وليست مستقلة عنها بل هي مرآة عاكسة لها، وتخضع لها كل الخضوع خلال نموها.[1]

3. الوصف الحفري:

يعتبر الوصف الحفري خطوة ومفهوما أساسي ومهما في منهج فوكو باعتباره " هو القادر على تحليل الخطابات كحدث تاريخي والحفر فيها لإدراك القطائع والانفصالات التي تشكل أساسا تحليل الخطاب."[2]

يعني ذلك أن فوكو يستخدم الوصف الحفري كوسيلة لاستكشاف عمق الخطابات لفهم القطائع التي تحدث في تاريخ الأفكار والتحولات التي تحدث في الخطابات وتشكل الأساس الذي ينتظم عليه، أي خلال عملية الوصف يجب النظر إلى الخطابات وكأنها عبارة عن أحداث تاريخية يمكن تحليلها بالتتبع التاريخي لها عبر الزمن.

[1] ميشيل فوكو: حفريات المعرفة، مصدر سابق، ص ص53-59.
[2] عبد العزيز منسي، جويني عسال: حفريات الخطاب في الفكر المعاصر، الزواوي بغورة قارئا ميشيل فوكو، مخبر الدراسات الإنسانية والأدبية، الجزائر، مج11، العدد01، 2024، ص9.

خلاصة الفصل:

وفي الأخير نستنتج أنّ تأثيرات الأحداث الطلابية والعودة إلى الفلاسفة الكبار كنتشه كان بمثابة نقلة نوعية في فكر فوكو ولحظة حاسمة في تشكيل أفكاره حول السلطة وإعادة النظر في كيفية عملها، بالإضافة إلى اعتماده المنهج الأركيولوجي كأداة للكشف عن الهياكل العميقة التي تشكل السلطة كلها عناصر أساسية ساعدت فوكو في تطوير رؤيته الفريدة حول السلطة ودورها في المجتمع.

الفصل الثاني

المثقف من سلطة الخطاب إلى خطاب السلطة

- **المبحث الأول:** فوكو والمثقف
- **المبحث الثاني:** فكر فوكو اتجاه السلطة وعلاقتها بالمثقف
- **المبحث الثالث:** الخطاب وعلاقته بالسلطة والسياسة

تمهيد:

يعتبر ميشيل فوكو فيلسوفا جدليا لا يخشى مطلقا خوض غمار الجدل، حيث تناول العديد من القضايا التي أثارت موجة من النقاشات الحادة بين الفلاسفة والمفكرين الراهنين وكل هذا بهدف الكشف عن تلك البنى العميقة التي تعمل في الخفاء، ولأجل تسليط الضوء عن الموضوعات التي تم تجاهلها أو كتم الحديث عنها أو بعبارة أخرى عن كل ما هو مهمش ومسكوت عنه، وجعله موضوعا للتفكير والبحث، كما سعى لهدم كل التصورات التي كثيرا ما اعتبرت أسس ثابتة للحقيقة والمعرفة كتلك التي تحجم وتهمش الآخر على حساب الأنا أو المركز، فتناول العلاقة بين السلطة والخطاب، والسلطة والسياسة، والسلطة والمعرفة، والسلطة والمثقف، هاته الأخيرة التي ركز فيها على دور المثقفين في المجتمع كعناصر فعالة في حقل السلطة حيث يأثرون بآرائهم في العلاقات السلطوية التي تشكل المعرفة والحقيقة، ولفهم الغاية من هذه الجدلية نطرح التساؤلات التالية: من هو المثقف الذي يتحدث عنه فوكو؟ وكيف يُعرفه؟ وما هي العلاقة بين المثقف والسلطة في فكر فوكو؟

المبحث الأول: فوكو والمثقف

المطلب الأول: تعريف المثقف

من الصعب تحديد مفهوم المثقف بشكل ثابت وموحد فهو معقد ودائم التطور باعتبار أنه كائن يحمل أبعاد إنسانية ونفسية وشخصية عميقة ومتفردة، وبالإضافة إلى البيئة والظروف الاجتماعية والثقافية والسياسية التي عايشها، فهذا التعقيد يعكس الصعوبة الموجودة في محاولة وضع تعريف له لأنّ ذلك سيتطلب بالضرورة النظر في كل تلك الأبعاد وكذلك وفق السياق الاجتماعي والثقافي والسياسي لكل فترة، لذلك تباينت واختلفت تعريفاته عبر الزمن، ولكن ذلك لم يمنعنا من انتقاء وطرح بعض المعاني المختلفة للمفكرين والفلاسفة، والرجوع إلى بعض التعريفات القديمة في المعاجم.

أ- التعريف اللغوي

- نجد في لسان العرب "لابن منظور": ثَقف الشيء وثِقَافًا وثُقُوفَة: حذَّقَهُ. ورحل ثَقْفٌ وثَقِف، وثَقُفٌ: حاذِقٌ فَهِمْ، وأَتْبَعُوهُ فقالو: ثَقْفٌ لَقْفٌ. ويقال ثَقِفَ الشيء وهو سرعة التعلم. ابن دريد: ثَقِفْتُ الشيء حَذَقْتُه، وثَقِفْتُهُ إذا ظَفِرْتُ به. ففي حديث الهجرة: وهو غلام لَقِنٌ ثَقِفٌ أي ذو فطنة وذكاء، والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه."[1]

يبرز هذا التعريف للاستخدام العربي القديم للمثقف أنه: ذلك الشخص الذي يحمل معاني: المهارة العالية، والذكاء الحاد، والفطنة وسرعة الالتقاط والفهم أي القدرة على التعلم بسرعة وسهولة، والإحاطة الدقيقة بالمعارف التي يتقنها، كما يشير إلى الشخص الذي يملك معرفة مستقرة وثابتة في معارفه.

- وقد جاءت في المعجم الوجيز لفظة المثقف حاملة نفس المعنى ومفهومها يسير في طريق واحد ويتناغم مع ما ورد عن ابن منظور في لسان العرب:" ثَقف فُلانٌ ثقافَةً

[1] ابن منظور: لسان العرب، ج9، نشر أدب الحوزة، بيروت، ص19.

صار حَاذِقًا فطنا. ثقف الشيء: أقام المُعْوَجَّ منه وسَوّاهْ. والإنسان أدَّبَه وهَلَّبَهُ وعَلَّمَهُ. تثقَّفَ: تَعلَّم وتهذب. ويُقَالُ: فُلَان تَثَقف على فلان تَثقف في مدرسة كذا "[1].

حيث يتعدى المفهوم هنا الذكاء والفطنة، ويشدد ويركز على أهمية التعليم والتأديب والتهذيب وتصحيح الأخطاء، فالمثقف شخص مستقيم في تربيته وسلوكه وعلمه على حد السواء، كما استخدم اللفظ للدلالة على أنّ الشخص قد يكتسب معارفه وعلومه من شخص آخر وهنا يبرز دور المعلم والموجه، وكذا المدرسة باعتبارها تلعب دورا مهما في تشكيل وتكوين المثقف.

- كما وردت لفظة ثقف في معجم الألفاظ المشتركة في اللغة العربية بمعنى:" ثقفت الصنعة: حَذَقْتُها وأصبحت مَاهِرًا بها. ثقفت به: ظفرت، ثقفت به: وجدته وأخذته صدفة." [2]

ما يمكن فهمه من خلال التعريف أنّ المثقف هو الشخص الذي يملك المهارة والفطنة والبراعة في مجال ما، ويتميز بسرعة البديهة، كما أنّ للصدفة والحظ دور في بعض الأحيان فقد يتم العثور على المعرفة بطريقة عفوية وغير متوقعة وبشكل غير مخطط له.

ب- التعريف الإصلاحي

تتعدد التعريفات والمفاهيم الاصطلاحية حسب وجهات نظر الباحثين والعلماء والفلاسفة، ومن بين هذه التعريفات:

- يعرف علي حرب المثقف في كتابه "أوهام النخبة أو نقد المثقف". " المثقف هو فاعل فكري في المقام الأول بما يخلقه من بيئات فكرية أو عوالم مفهومية تتضاعف معها إمكانيات التفكير والتدبير، فمهمته الأصلية ترجمة الواقع إلى إشكاليات فكرية أو صوغ

[1] مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، 1998، ص85.

[2] عبد الحليم محمد قنبس: معجم الألفاظ المشتركة في اللغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت، 1987، ص29.

العلاقة بالعالم صياغة مفهومية على نحو يمكن استثماره سياسيا وعمليا، وفي عقلنة السلطات والقرارات والممارسات، أو في صناعة الأحداث والتعامل الفعال مع الواقع."[1]

وفقا للتعريف المذكور فالمثقف يلعب دورا أساسيا في بلورة الفكر وأيضا التأثير على الواقع أي أنّ له دور مهم في التأثير على مختلف الجوانب مركزا على الجانب العملي بالتحديد، وعلى هذا الأساس فمهمة المثقف ليس فقط نشر ونقل المعرفة وإنما هو فاعل في تشكيل الواقع الاجتماعي والسياسي بحيث يعمل على فهم العالم من حوله بشكل يمكنه ويسمح له بإعادة تفسير أو بلورة الواقع، فيحول الأحداث اليومية الواقعية إلى قضايا فكرية يمكن فيما بعد مناقشتها وطرحها وتحليلها، أي يحول الواقع إلى موضوع للتفكير والتحليل.

- وفي تعريف آخر لزكي نجيب محمود نجده يصف ويعرف المثقف بأنه:" المثقف هو إنسان بضاعته أفكار سواء كانت من إبداعه هو أم كانت منقولة عن سواه ولكنه آمن بها ايمانا أقنعه بأن يحياها ثم لا يقتصر على أن يحياها هو بشخصه بل يريد أن يقنع بها الآخرين ليحيوها معه."[2]

يتضح من خلال هذا التعريف أنّ المثقف هو الإنسان الذي يمتلك أفكارا، هذه الأفكار تكون إما نِتاج إبداعه الخاص، ويمكن أن تكون مستمدة من أفكار الآخرين فيعتنقها، ولا يكتفي بترديدها فحسب بل يعيشها، ويسعى لإقناع الغير بها ونشرها.

[1] علي حرب: أوهام النخبة أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2004، ص148.

[2] زكي نجيب محمود: هموم المثقفين، مؤسسة هنداوي سي آي سي، 2017، ص11.

- ويقدم الماركسي الشهير غرامشي*(Antonio Gramsci) تعريف للمثقف يميز فيه بين نوعين من المثقفين: المثقف العضوي والمثقف التقليدي، حيث يقول:" إنّ جميع الناس مثقفون بطريقة أو بأخرى لكن وظيفة ودور المثقف هي من لا يملكها ولا يقوم بها كل الناس، فالمعلمون والفلاحون والعمال والحرفيون والموظفون ورجال الدين كلهم مثقفون يملكون ثقافة مهنية وفق طبيعة عملهم، يقومون بنفس الأعمال وينقلون ثقافة متواترة من جيل إلى جيل، وهذا ما يجعل منهم مثقفون تقليديون."[1]

مما سبق ذكره غرامشي مَيَّزَ بين نوعين من المثقفين، حيث يلعب كليهما دورا مهما في المجتمع، ولكن المثقف العضوي يمثل الدور الأهم، فهو المثقف المحوري والفعال في خدمة مصالح المجتمع، فالنوع الأول يقوم بدوره التقليدي حيث يملك هذا الصنف مجرد معرفة مهنية تنتقل عبر الأجيال بالتوارث دون السعي للتغيير كالمعلمين ورجال الدين....أما الصنف الثاني أي المثقف العضوي فيتخلى عن ذلك الدور الكلاسيكي، فينشأ في تلك الطبقة الاجتماعية ويرتبط بها ارتباطا وثيقا، ولكن يعمل على تطويرها من خلال ممارسة دوره التثقيفي، فيكون له دور مغاير في إحداث التغيير الاجتماعي بطريقته الخاصة في توجيه الأفكار لخدمة مصالح الطبقة التي ينتمي إليها.

[1] أنطونيو غرامشي: كراسات السجن، تر: عادل غنيم، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1994، ص24.

*انطونيو غرامشي: (1931-1937): فيلسوف ومفكر وناشط سياسي ماركسي إيطالي، كان عضوا مؤسسا للحزب الشيوعي الإطالي، كما عمل ناقدا مسرحيا عام 1916، ويعد مرجعا هاما لكل باحث ومهتم بالدراسات الثقافية والاجتماعية والسياسية، كتب العديد من الأعمال والرسائل والملاحظات خلال فترة سجنه، هذه الأعمال جمعت لاحقا فيما يعرف بدفاتر السجن على غرار قضايا المادية التاريخية، غرامشي وقضايا المجتمع المدني.

المطلب الثاني: مفهوم المثقف عند فوكو

ابتدع فوكو مفهوما جديدا للمثقف مميزا إياه عن المثقف الشمولي الذي يمثل صوت الجماعة، حيث سعى جاهدا إلى تضييق الدور الذي يلعبه المثقف وحصره ضمن مجالات معرفية ومهنية محددة بحيث لا يتعدى اختصاصه ومجاله، ولأن المعاني لا تفهم إلا بأضدادها أحيانا فلن يتضح لنا مفهوم المثقف الذي تبناه فوكو بشكل جلي إلا عند معرفتنا لمفهوم المثقف الشمولي فالمقارنة بينهما ستبرر وجهة نظر فوكو بوضوح حول المثقف النوعي Spécifique L'intellectuel ، يرى فوكو أن المثقف الحقيقي " لم يعد ذلك الشمولي الذي يحمل الأفكار الشمولية التي يجتمع عليها الناس جميعا أي أنّ المثقف الشمولي لم يعد كما كان في السابق فقد احتل مكانه المثقف الخصوصي، فالمثقف الذي يحمل أعباء المجتمع ويشكل صوتهم ويقف نائبا عنهم كما في البروليتاريا والشيوعية لم يعد محل اهتمام بل ووجود، حيث انتقلت شبكة العلاقات الاجتماعية والسياسية نحو المثقف الخصوصي الذي يعتبر وليد المؤسسة المجزأة ووليد العمل المحدد والإدارة أو المؤسسة التي ينتمي إليها."[1]

هكذا يبدو الفرق بين المثقف الشمولي والنوعي في غاية الوضوح ففي الوقت الذي تنتصر فيه الشيوعية والبروليتاريا للجماعة يأتي فوكو ليعكس تلك الرؤية حاملا التغيير ضد كل ما هو شمولي وعالمي وغير واقعي.

وعلى هذا الأساس ففوكو يشدد على أنّ المثقف الحق يجب أن يتوقف عند حدود تخصصه متجاوزا ما كان سائدا في الفكر الشيوعي والاشتراكي الذي كان المثقف فيه يلعب دور المحامي والمرشد الناطق باسم العموم آخذا على عاتقه هم الجميع ومرآة عاكسة لتوجهات ومشاكل أمة بأسرها، فيشير النوع الأول الذي طرحه فوكو لا ليتبناه وإنما ليُفنِّده أنّ المثقف يلعب دورا مهما في التعبير عن أفكار ومشاكل المجتمع والدفاع عن مصالحه، وتحديد مساره وتوجهه مستقبلا،

[1] اسماعيل نقاز: جدلية المعرفي والسياسي عند ميشيل فوكو، مجلة دراسات فلسفية، الجزائر، العدد06، 2006، ص91.

حيث يهتم بشتى مجالات المعرفة بنظرة شمولية عالمية، ثم يشير فوكو إلى الوجه الجديد للمثقف الذي يتوافق حسبه مع ظروف العصر ساعيا إلى تحقيق التغيير معتمدا على البحث والدراسات المعمقة ولكن ضمن تخصصه وخبرته في مجاله لا عبر النضال الطبقي والشمولي بمعنى آخر يؤكد فوكو أن المثقف النوعي يتمتع بدرجة عالية من الخبرة ضمن التخصص في مجال محدد حيث يستطيع توظيف خبرته ومهاراته الخاصة بشكل أفضل، فلا جدوى من محاولة الإحاطة بالمواضيع بشكل عام، فلكي يستطيع المثقف التأثير بشكل مؤثر فعليه العمل ضمن السياقات التي يعرفها جيدا.

يقول فوكو:" يبدو لي أنّ صورة المثقف الخصوصي أخذت تتطور ابتداء من الحرب العالمية الثانية وربما كان الفيزيائي الذري أوبنهايمر* هو صلة الوصل بين المثقف الكوني الشمولي والمثقف الخصوصي."[1]

نستجلي من هذا القول: أنّ مفهوم المثقف بدأ بالتغير تدريجيا منذ الحرب العالمية الثانية وظهر نموذج جديد من المثقفين، ويعتقد فوكو أن الفيزيائي أو بنهايمر قد لعب دورا حاسما في هذا التوجه نحو مثقف جديد يشتمل ضمن مجالات متخصصة جدا يكون قادرا فيها على إحداث تأثير محدد ومعمق مركزا على مشكلة معينة بدلا من التعامل مع القضايا التي تتناول الحقائق العامة أو الكونية، ولذلك فالمثقف بات يتفاعل مع العالم من خلال معرفته المتخصصة المكثفة في مجاله لا من منظور شامل، ونجد الفيزيائي الذري أوبنهايمر يجمع بين الشمولية الكلاسيكية والتخصص الحديث إن صح التعبير، هذا المثقف الذي يعمل ضمن التخصص

*ج. روبرت أوبنهايمر:(1904-1967): اهتم منذ نعومة أضافره بالفيزياء والكيمياء، ودفعه اهتمامه بهما إلى الحصول عام 1925 على البكالوريا في الكيمياء ليواصل دراساته العليا ويتحصل على الدكتوراه عام 1927 من جامعة غوتينغة بألمانيا ليتحصل فيما بعد على العديد من الإنجازات العلمية عند عمله كأستاذ بجامعة كاليفورنيا، يلقب "بأبو القنبلة الذرية" التي قتلت ما يزيد عن 200 ألف شخص خلال الحرب العالمية الثانية ناهيك عن الأضرار التي تسببت بها والتي استمرت لعدة قرون.

[1] ميشيل فوكو: نظام الخطاب، تر: محمد سبيلا، دار التنوير، د ط، ص66.

في مجال واحد حيث انخرط بشكل جد مفرط في الأبحاث الفيزيائية والنووية، ولكنه في الوقت نفسه مهيمن بتأثيره العالمي على البشرية بأكملها، وبعبارة أخرى قد يثير البعض تساؤلات بشأن تصنيف فوكو أو بنهايمر كمثقف خصوصي ثم في الوقت ذاته القول أنه يمثل المثقف الكوني، ولتوضيح هذا يمكن القول أن اوبنهايمر باعتباره متخصصا في مجال القنبلة الذرية ودوره كمنظم لها في لوس آلاموس بين (1942-1945) يمثل بلا شك المثقف الذي يتعمق في مجال تخصصه الخاص غير أن دوره لم يقتصر على هذا النطاق فحسب، بل تجاوز مجاله الضيق عندما حذّر من مخاطر القنبلة الذرية نظرا لعلمه بتلك المخاطر من موقع تخصصه ساعيا في ذلك إلى حماية البشرية على مستوى العالم برمته، وبذلك فخطابه هذا يُعبِّر عن تأثيره كمثقف كوني شمولي.[1]

فوكو عند تقديمه وطرحه لمصطلحه الجديد " المثقف النوعي " كان هدفه من ذلك هو الإقرار بأن المثقف الكلاسيكي قد ولى وانقرض فهو شخصية كانت رائجة فيما مضى ولا تتناسب مع واقع العصر الحديث، وفي الوقت نفسه التأكيد على أنّ المثقف لا يزال موجودا من جهة أخرى ولكن بشكل مختلف هذه المرة، وإذا كان يجب عليه أن يتكلم فلا يسمح له التحدث في كل شيء وإنما يجب عليه التفكير والتحدث وطرح ما يعنيه فقط، أي ضمن إطار اختصاصه وألا يتجاوز حدوده المعرفية والخاصة، ويتحدث من موقع خبرته.[2]

[1] مكاحلية صورية: تمثلات المثقف وأدواره في كتاب صورة المثقف لإدوارد سعيد، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، جامعة العربي تبسي، الجزائر، العدد03، 2020، ص45.

[2] فضيلة سيساوي، محاولة لتحديد مفهوم المثقف، المجلة الاجتماعية القومية، جامعة جيجل، الجزائر، مجلد52، العدد02، 2015، ص135.

المطلب الثالث: دور المثقف في المجتمع

يتحدث فوكو عن التحول في دور المثقف في المجتمع المعاصر حيث يقول:" لقد نشأ نمط جديد من العلاقة بين النظرية والممارسة، فلقد تعود المثقفون على العمل لا ضمن الشمولي والنموذجي أو ضمن ما هو صائب وحقيقي بالنسبة للجميع، بل في قطاعات محددة وفي نقاط معينة تضعهم فيها ظروف عملهم أو ظروف حياتهم (السكن، المستشفى، المختبر، الجامعة، العلاقات العائلية والجنسية."[1] ويقصد بذلك أنّ الدور الجديد الذي أصبح يلعبه المثقف مغاير عن دوره التقليدي الشمولي والعام، فالعلاقة بين النظرية والممارسة تطورت مما أدى إلى نشوء نمط جديد من المثقفين، توجهت وظيفتهم الرّاهنة للتركيز على مشكلات أكثر تخصصا وتحديدا، بمعنى آخر بدلا من السعي وراء النقاشات الكبرى حول المفاهيم المجردة يصبح النضال موجها نحو المشاكل النوعية التي تتعامل مع واقع الناس اليومي فيغوص المثقفون في هاته المشاكل الخاصة والملموسة والنوعية التي تؤثر بشكل مباشر في حياتهم.

ويتجلى كذلك دور المثقف في النقد الذي يعد وسيلته لتحسين شروط الواقع كونه يملك معرفة متخصصة فيساعده ذلك في تسليط الضوء على ثغرات الواقع وعيوبه لأن نقده هنا لا ينبع من أهواء شخصية بل عن دراية وتبصر ووعي.[2] علينا ألا نفهم من النقد هنا الهدم والرفض أو التفكيك بل هو أشبه بالامتحان الذي يتطلب استبعاد منظومة القيم السائدة قدر الإمكان، وتجريد الواقع من القيم المعتادة، ويتعين على المثقف ممارسة الشك الفلسفي الذي يشكل عنصرا أساسيا في تكوينه، فمن خلال هذه الممارسة النقدية يتمكن المثقف من صياغة خطاب نقدي يسهم في إعادة تقييم الواقع وتقديم رؤى جديدة لتحسينه.[3]

---

[1] ميشيل فوكو: نظام الخطاب، مصدر سابق، ص65.

[2] فضيلة سيساوي: محاولة لتحديد مفهوم المثقف، مرجع سابق ص135.

[3] الزواوي بغورة: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1999، ص257.

فوكو لا يرى مفهومي النقد والشك من منظور سلبي أو وسائل تدمير وتحطيم بل كوسائل بناءة لتحسين الواقع وحجر أساس للمجتمع، فبالنسبة له النقد ليس عملية هدم وإنما وسيلة لفحص الواقع بدقة، والشك أيضا ليس وسيلة لإنكار الحقيقة بل طريقة للوصول إلى فهم أعمق وأكثر دقة. وظيفة المثقف كذلك تكمن في تقديم معرفة وأسلوب من التحليل يتيح له ليس فقط تغيير فكر الآخرين بل وتغيير فكره أيضا، وهذا التحول في فكر الآخرين وفكره هو ما يبرر وجوده كمثقف.[1]

والمقصد من هذا أنّ للمثقف دور مزدوج يمثل جوهر وظيفته الأول: نقل المعلومات وتحليلها للآخرين، والثاني: أن يكون منفتحا على تغيير وتطوير أفكار الآخرين وقبل ذلك أفكاره الخاصة أيضا من خلال التعلم المستمر وإعادة التفكير في معتقداته وإدخال تغييرات على الطريقة التي يفكر بها الناس، وبهذا الشكل يصبح التحول الفكري للأفراد والمثقف ذاته وسيلة للتقدم والتطور المعرفي والثقافي في المجتمع.

دور المثقف المتخصص مرتبط بجهاز المعلومات وليس بجهاز الإنتاج ولذلك لا يمكنه أن يحل محل المعرفة العملية التي يمتلكها العامل في جهاز الإنتاج.[2] أي على المثقف المتخصص أن يقوم بدوره في مجال التعامل مع المعلومات وليس في ميدان الصناعة، والإنتاج المادي هو صاحب اختصاص في تحليل وتفسير ونشر المعلومات وليس في التفاعل المباشر مع آليات انتاج السلع، فالمعرفة التي يملكها يستحيل أن تكون بديلا لمعرفة العامل في جهاز الإنتاج، فكل منهما لديه معرفة متخصصة في مجاله الخاص ولا يمكن لأحدهما أن يحل محل الآخر.

[1] الزواوي بغورة: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، مصدر سابق، 258.

[2] المرجع نفسه، ص258.

المطلب الرابع: الممارسات السياسية السلطوية التي تتحكم في المثقف

تعتبر اللغة والدين والمجتمع من بين الآليات التي تعمل على تحجيم خطاب المثقف بحيث يبقى في إطار معين مراقب ومسيطر عليه، فتلعب هذه الآليات دورا سلطويا، فتملي على المثقف ما يجب عليه قوله وما لا يجب، وما يسمح له بالتحدث عنه وما لا يسمح، بحيث أنّ المثقف باعتباره جزء من المجتمع لا يجد نفسه إلا راضخا لتلك الضغوطات السلطوية، فتهدف هذه الآليات إلى إبقاء المثقف في إطار معين ضمن خطابه وألا يبحث فيما لم يقله الآخرين أو بلغة أصح ألا يبحث فيما لم يصرح به التاريخ الرسمي.

سلطة اللغة: ميشيل فوكو لا ينظر إلى اللغة في خطاب المثقف على أنها مجرد وسيلة للتواصل بل يعتبرها أداة سلطوية وأداة للتحكم تعبر عن السلطة القائمة وكما تساهم في ترسيخها وتعزيزها أيضا والحفاظ على الوضع الراهن أي أنها الأداة التي يتم وفقها إنتاج المعرفة وممارسة السلطة.

تلعب اللغة دورا سلطويا هاما في خطاب المثقف حسب فيلسوف الاختلاف ميشيل فوكو إذ يعطي أهمية بالغة للّغة باعتبارها مبحثا فلسفيا مهما، فبدون استيعاب عميق للغة ومفاهيمها وكيفية عملها لا يستطيع المثقف حسب فوكو أن يكشف عن التناقضات والهياكل الخفية التي تحكم الخطاب السائد لذلك لا يمكن فهم أي مشروع ما بعد حداثي دون تحليل اللّغة واستيعابها وفهم كيفية عملها في تشكيل هذه المعرفة، فاللّغة آلية من آليات السلطة التي تتحكم في الأفكار والمفاهيم المتاحة للمجتمع.[1]

ولتوضيح العلاقة بين سلطة اللّغة وخطاب المثقف أكثر يمكننا الاستئناس بقول ميشيل فوكو:

[1] مخطاوي سليمان: فلسفة اللغة في فكر الاختلاف، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، 2022، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، ص45.

" الإنسان خاضع للعمل والحياة واللّغة فهي التي تحدد وجوده الواقعي."[1] أي أن اللّغة تؤدي دور في تشكيل كيفية تفكير الأفراد وإدراكهم للعالم من حولهم وبالتالي تصبح أداة سيطرة، والمثقف ليس كيانا مستقلا بذاته وإنما هو دائما في علاقة مع اللّغة التي تحدد الحدود التي يمكن للمثقف أن يتحرك داخلها وأطر فهمه للعالم وتفاعله معه يكون ضمن تلك الحدود، ولابد من أنّ الأفكار والمفاهيم التي ينقلها من خلال اللّغة أن توجه الناس نحو رؤى معينة وتبعدهم عن أخرى، فالمثقف لا يمكنه التفكير بمعزل عن التاريخ الرسمي، فيحمل ما نقلته اللّغة إليه وينقلها من خلال خطاباته ولا يبحث في التاريخ الفعلي، ويتضح ذلك أكثر في قوله:" لا يكتشف الإنسان نفسه حين يفكر إلا بصورة كائن هو في الأعماق الموجودة حتى في ما وراء تفكيره والسابقة له قطعا، وحامل كلمات وجدت قبله."[2]

سلطة المجتمع: تسعى السلطة إلى تجسيد مجتمع منضبط خاضع لما تمليه عليه الهياكل الاجتماعية من خلال قوانين وسياسات يفرضها المجتمع لا بد ألا تتنافى مع القيم السائدة للحفاظ على نظام عام، وعلى الجميع أن يخضعوا لهذه القوانين لضمان بقائهم، وقد أشار فوكو أنه في كل مجتمع يتم فرض التزامات أو موجبات يجب على الأفراد إتباعها، ومحظورات عليهم تجنبها.[3] في هذا السياق فالسلطة تسعى لنحت مجتمع يعيش ويخضع لإطار معين ويخدم سلطة معينة ومحددة ضمن قوانين تنظم وتعزز النظام السائد.

ومن وجهة نظر فوكو فإن الإجراءات والممارسات التي تقدم على أساس أنها لحماية المجتمع ولضمان حقوق أفراده وعلى رأسهم المثقفون تخفي في طياتها كل أشكال الهيمنة التي تخدم مصالح الطبقة المسيطرة، ورغم أنّ المؤسسات تظهر اهتماماتها بالفرد وشؤونه وتسعى

[1] ميشيل فوكو: الكلمات والأشياء، مركز الانتماء القومي، د ط، لبنان، 1990، ص261.

[2] ميشيل فوكو: الكلمات والأشياء، مصدر سابق، ص261.

[3] لوط تاليا: الجسد بين الأخلاق والقانون في فلسفة ميشيل فوكو، سلسلة الأنوار، المجلد11، العدد02، 2021، ص05.

للمحافظة على حياته إلا أنّ الواقع يكشف شيء آخر وأنّ هذه المؤسسات تنظم حياة المجتمع وفقا لعلاقات القوة مما يمنح السيطرة والهيمنة للفئة التي تملك القوة الأكبر.[1]

بالنسبة لفوكو السلطة أو السيادة تتمركز في" الجسد الاجتماعي " والمثقف كفرد يمثل جزءا من نسيج الجسم الاجتماعي الذي تمارس عليه وفيه السلطة فهي تستخدم عدة آليات وسياسات كفرض الرقابة التي تصعب انتشار الأفكار النقدية والقوانين التي تحد من حرية التعبير فتقلص من فرصة المثقفين في المساهمة في النقد أو فرض آرائهم النقدية، أو تحدي السطات القائمة، فالفرد عموما والفرد المثقف على وجه الخصوص يفوض سيادته إلى الدولة وتصبح الفكرة أكثر وضوحا عندما نستشهد بقول فوكو:" لدينا في المجتمعات الحديثة وابتداء من القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا من جهة تشريعات وخطابات وتنظيم للقانون العام متمفصل حول مبدأ السيادة للجسد الاجتماعي، وتفويض كل واحد لهذه السيادة للدولة، ومن جهة أخرى لدينا في الوقت نفسه يتم تأطير الاكراهات الانضباطية التي تضمن وتؤمن فعليا انسجام ذلك الجسد الاجتماعي."[2]

سلطة الدين: رغم أنّ فوكو لم يخصص جزءًا كبيرا في تحليلاته عن الدين فكتاباته نادرة جدا حوله، ولكن نفهم من إشاراته المتفرقة عن الموضوع أنّ الدين هو مجموعة من المؤسسات التي تلعب دورا في تشكيل الحقيقة وفرض النظام السلوكي، ويركز فوكو على أهمية التأديب الذاتي، هذا التأديب الذي لا ينشأ بطبيعة الحال من فراغ وإنما ينبع من فعاليات جماعية تفرضها هذه المؤسسات والطقوس التي تعتبر جوهر الحياة الدينية، ويرى فوكو أنّ لهذه الطقوس الدينية أثر في تشكيل وصياغة شخصية الأفراد وتوجيه سلوكهم وفقا لمعايير محددة، ويشير فوكو إلى الجانب السلطوي للممارسات الدينية وخاصة الجوانب الاعترافية للمسيحية والسلطة

[1] لوط تاليا: أخلاقيات فعل الرقابة عند ميشيل فوكو، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، المجلد11، العدد01، 2023، ص2-3.

[2] ميشيل فوكو: يجب الدفاع عن المجتمع، تر: الزواوي بغورة، دار الطليعة، بيروت، 1976، ص61.

الكهنوتية كنظام مفاهيمي تأديبي يعتبره بمثابة تأثير على السلوك وتوجيهه من خلال تأديب الذات مقدما لنموذج يظهر فيه التعبير المقيد والمحدود للحرية الفردية ويتم فرض المشاركة باسم الدين في هذه التقاليد والطقوس كالاعتراف، والصيام... فيرى فوكو أنّ الدين لا يمارس طقوسه فحسب بل يعمل كآلية إجبارية لإنتاج الحقائق، وينظر فوكو إليه بنظرة تشاؤمية باعتباره وسيلة لترسيخ السيطرة الاجتماعية وإدامة النظم القائمة وتكريسا لنمط من السلوك لخدمة أهداف محددة مسبقا.[1]

يعتقد فوكو أنّ السلطة الدينية تفرض قيودا على حرية الفرد أو الفرد المثقف بالتحديد، فلا تسمح له بالتحدث عن كل المواضيع خاصة المواضيع المسكوت عنها أو اللّا مفكر فيها كقضايا الجنس، والسياسة والطابوهات المقدسة: كالدين، هذا الموضوع يعتبر حساسا على المستوى الاجتماعي والثقافي والحديث عنه منبوذ ومحدود وينظر للأفكار المخالفة له على أنها كفر أو هرطقة وزندقة، مما يقود إلى التحكم في الحرية الفكرية وفرض قيوده على ما يعبر عنه المثقفون في خطاباتهم، بهذا المعنى يستخدم الدين هنا لخدمة الغايات السياسية فيخضع خطاب المثقف لمجموعة من الآليات والقوانين والإجراءات الدينية التي تتحكم فيه وتؤطره وتدرجه ضمن خطوط كبرى هي من أسستها وأقرتها.

[1] علي محمد غانم إبراهيم: السلطة والإيمان: الحاكمية، الدين والمجتمعات ما بعد العلمانية، 2021/01/16، اطلع عليه 2024/04/20، http://www.hamoong.ong

المبحث الثاني: فكر فوكو تجاه السلطة وعلاقتها بالمثقف

المطلب الأول: هدم فوكو للتصور القديم للسلطة

إنّ تصور فوكو للسلطة يختلف جذريا عن النظرية التقليدية، فالنموذج الذي قدّمه إميل دوركايم يفسر الظاهرة الاجتماعية إلى نوع من السلطة الضابطة والموجهة سواء أكان ذلك على مستوى السلطة والأنظمة الحاكمة أو الهياكل والسلطات الدينية والأسرية، أو النموذج القانوني الذي يربط ويقيم علاقة مباشرة بين السلطة والشرعية معتبرا إياها مرتبطة دوما بالدور الذي تلعبه الحكومة المركزية ومنظومة التشريعات الناشئة عنها أو حتى عن المفهوم الماركسي المركزي للسلطة الذي يعطي الطبقة الاجتماعية المسيطرة القدرة من خلال جهاز الدولة على اتخاذ القرارات واستغلال قوى الإنتاج بالشكل الذي يخدم مصالحها.[1]

انتقد فوكو ذلك الفهم التقليدي العقيم والذي لا جدوى منه للسلطة الذي يحصرها في إطار القوانين الدستورية والإجراءات القانونية ويربطها ربطا وثيقا بالنظم الاقتصادية في توزيع الثروة وإدارتها عبر سيطرة الممارسات الاقتصادية، ويؤكد فوكو أنّ تطور الرأسمالية لم يتم إلا بإدماج الفرد في نظام الإنتاج، مما استدعى نظم سلطة تعمل على تقييم واستغلال القوى والقدرات البشرية. فكانت القوانين والتنظيمات الاقتصادية عامل أكيد في تأسيس وفرض السيطرة أحيانا بشكل قهري.[2]

كما يتخلى ويبتعد فوكو عن الدراسات النظرية الفلسفية التي يلعب عليها الطابع العام، والذي يميل إلى ابعاد الأهمية عن الجانب الإجرائي فيهمل البعد العلمي والتطبيقي، معترضا على التعميمات التي تسعى لتبسيط واختزال الأمور المعقدة والمركبة ويفضل بدلا من ذلك التوجه نحو تحليل دقيق ومفصل للممارسات المحددة والخاصة فيتجاوز فوكو التفكير اليوناني القديم

[1] محمد أمين بن جيلالي: ميشيل فوكو وسؤال السلطة، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، قسم الفلسفة، 2016، ص06.

[2] Michel Faucault: La volonté de savoir, Gallimard, Paris, p185.

الذي يعتمد على التجريد وصياغة النظريات باعتباره لا يكشف عن الحقائق الجوهرية والحقيقية للأمور، لذلك فبدلا من البحث عن هويات تاريخية ثابتة أو محاولة صياغة تصور شمولي يركز فوكو على استكشاف كيف تتشكل المعرفة والسلطة والجسد والتفاعلات بين تلك العلاقات، فلقد تخطى فوكو المفاهيم القديمة والموروثة، والنسقية بتعبير هيجل التي كانت تصور السلطة بمثابة كيان ثابت عام وشامل يسري على جميع المجالات بنفس الوتيرة.[1]

إذن يتموضع تصور فوكو للسلطة على هدم ونقد عدة نظريات ليعيد بناء تشكيل مفهومه الخاص حولها، ومن بين أهم الصُروح النظرية التي استهدفها الحفر الفوكوي أولا هاجم نظرية التعاقد التي قدَّمها توماس هوبز والتي تستند على فكرة أنّ أساس السلطة هو العقد الاجتماعي وهي احتكار للإكراه تأتي من تراضي أطراف العقد مما يجعلها سلطة مشروعة، ولكن فوكو قدم بديلا يرى فيه السلطة من زاوية مختلفة حيث يعتبرها تنبع نتيجة لعلاقات قوى تقوم على اخفاء عمق العلاقات بين الأفراد ومرتبطة بمفاهيم المعركة والمواجهة والحرب المستمرة التي تستخدم أدوات مختلفة، كما فنّد نظرية السيادة والحق التي تفترض أنّ الحق هو الذي يحدد حدود السلطة ومفعولها، وأنّ السيادة تتجسد في علاقات المنبع والإلزام، إلاّ أنّ فوكو ينتقد هذه النظرية مؤكدا على أن الحياة نفسها وليس الحق هو الذي يشكل الرهان السياسي أو المساحة الرئيسية للنزاع السياسي مما يدعو إلى التأديب لأنه يحمل طابع استراتيجي بدلا من السيادة أو السيطرة القانونية، وأخيرا رفض النظرية الماركسية التي تعتبر جهاز الدولة مركز السلطة الوحيد، بينما أثبت فوكو أنّ السلطة غير مركزية وتتغلغل داخل كافة طبقات المجتمع وهو ما يسميه بميكرو فيزياء السلطة كظاهرة متشابكة ومتفرقة تمتد على مستويات متعددة داخل المجتمع.[2]

[1] إسماعيل نقاز: جدلية المعرفي والسياسي عند ميشيل فوكو قراءة في تفكيك بنية السلطة، مجلة دراسات فلسفية، العدد06، 2016، ص93.

[2] محمد أمين بن جيلالي: ميشيل فوكو وسؤال السلطة، مرجع سابق، ص6-7.

يعيب فوكو على كل الفرضيات السالفة الذكر ويرفض الاعتقاد الشائع الذي يصور لنا السلطة كمنظمة قهر وعنف تعتمد على الإجبار القانوني والسيطرة المطلقة للحاكم على الجميع، فتقسيم المجتمع إلى حاكم ومحكومين حيث يمارس الحاكم سلطته بالعنف من خلال قوانين قمعية هذا التصور وفقا لفوكو يؤدي إلى تفسير النظريات السياسية للسلطة على أنها مجرد تعاقد بين فئات المجتمع المختلفة، وهو تصور حسب فوكو مبتذل وغير مقبول.[1]

المطلب الثاني: مفهوم السلطة عند ميشيل فوكو

لقد استقطب المفهوم اهتماما كبيرا من قبل الباحثين والدارسين، ورغم هذا الاهتمام الواسع إلا أنه لا تزال هناك التباسات تعتريه، فبدأ فوكو في مفهومه للسلطة بتمييزه عن المفهوم التقليدي له، فيقول:" لا أعني السلطة مجموعة المؤسسات والأجهزة التي تضمن خضوع المواطنين في إطار دولة ما كذلك لا أعني بكلمة سلطة نمطا من الإخضاع الذي هو على العكس من العنف إنما يتخذ شكل قاعدة، وأخيرا لا أعني بكلمة سلطة نظاما عاما من جهة الهيمنة يمارسه عنصر أو مجموعة على عنصر آخر أو مجموعة أخرى."[2] يتخذ مفهوم السلطة لدى فوكو منحى آخر أكثر شمولية وعمقا فالسلطة حسبه ليست كيانا موحدا أو كتلة ثابتة يمكن حصرها داخل هذه المؤسسات بل تشمل مجموعة واسعة من الممارسات اليومية وتتأصل في العديد من التفاعلات في المجتمع. فيعرفها بأنها:" تعدد موازين القوى المحايثة للمجال الذي تمارس فيه والمكونة لتنظيمها، واللعبة التي تحول هذه الموازين وتعززها وتقلبها عن طريق مجابهات ونزاعات متواصلة."[3]

وبالتالي فالسلطة عند فوكو هي شبكة معقدة من العلاقات والقوى التنافسية والمتفاعلة التي تتغير باستمرار وتختلف بشكل متكرر من خلال الصراعات والتفاعلات اليومية، فهي ديناميكية

[1] اسماعيل نقاز: جدلية المعرفي والسياسي عند ميشيل فوكو، مرجع سابق، ص94.

[2] ميشيل فوكو: إرادة المعرفة، مرجع سابق، ص101.

[3] المرجع نفسه، ص101.

تتغير وتتفاعل في كل سياق اجتماعي، واسعة الانتشار موجودة في كل مكان، فالسلطة حسب فوكو تأخذ شكل "السلطات الأخطبوطية" التي لها أذرع تمتد إلى مناطق متعددة وتؤثر على طرق تفكيرنا وتصرفاتنا، وبدلا من النظر إلى السلطة على أنها تأتي من مصدر قمعي واحد أو كأسلوب لممارسة العنف والقهر يراها كشبكة معقدة تمارس عبر مجموعة متنوعة من العمليات والتأثيرات، فعندما يدرس موضوعات مثل: الذات، الجنون، السجن والمعرفة يكشف كيف تشكل هذه الشبكة من السلطات تجاربنا ومفهومنا لهذه المواضيع ويكمن التركيز هنا على الطرق التي تسهم بها السلطة في تشكيل الهوية والسلوك والمعارف، وكيف تمارس تأثيرها بشكل دقيق ومتشابك في الخلفية الثقافية والاجتماعية.

لذلك يتعدى فهم السلطة مجرد تجمعها ضمن إطار الدولة، بل تعتبر الدولة مجرد إحدى صورها، تستخدم السلطة لإنتاج القوى وتعزيزها وعليه لا توجد سلطة مركزية موحدة، فالوجود الحقيقي للسلطة يأتي عبر مجموعة من الأشكال التي يسعى البحث الجينيالوجي والتحليل السياسي الدقيق، أو ميكرو فيزياء السلطة، أو الفحص بالمجهر لاستكشافها. والمتراوحة بين أسرار الأحلام على المستوى الشخصي وأسرار قوى السيطرة على مستوى الدولة.[1]

يناقض فوكو الفكر التقليدي الذي يقول بأنّ السلطة تأتي فقط من الأعلى إلى الأسفل أي من جهاز الدولة نحو قواعد الهيكل الاجتماعي وبدلا من ذلك يقول:" إنّ السلطة تأتي من تحت أي أنه لا يوجد في أساس العلاقات السلطوية، وكقاعدة عامة تناقض مثنوي وإجمالي بين الحاكمين والمحكومين، إلا أنّ هذه الثنائية تنعكس من أعلى إلى أسفل، وعلى مجموعة ضيقة أكثر فأكثر حتى تصل إلى أعماق الجسم الاجتماعي."[2] أي أنّ السلطة تمارس عبر العديد من النقاط المختلفة ضمن النظام الاجتماعي بما في ذلك العلاقات اليومية بين الأفراد والمجموعات، ولا يوجد تقابل ثنائي محدد بين المسيطرين والمسيطر عليهم فتنتقل وتمارس

[1] Michel Foucault : la volonté de savoir, Gallimard, Paris, 1976, p123.

[2] ميشيل فوكو، إرادة المعرفة، مرجع سابق، ص103.

السلطة في جميع مستويات المجتمع، فهي ليست حكرا فقط على الأجهزة الكبيرة كالحكومات بل تتغلغل في أعماق الجسم الاجتماعي ككل.

فوكو لم يركز في البحث في ماهية السلطة وجوهرها بقدر ما ركز في البحث في تشكيلها وتطبيقها من خلال إدخاله لمفهوم ميكرو فيزياء السلطة، مفسرا بأنّ السلطة لا تمارس فقط من قبل هياكل كبيرة ومركزية مثل الحكومات، بل من خلال مجموعة معقدة ومتشابكة من العلاقات والممارسات اليومية، ومصطلح ميكرو فيزياء السلطة يحيل إلى تفتيت السلطة إلى مكوناتها الأدق وأشكالها الممارسة على المستوى الميكروي في الحياة اليومية وكيف تتغلغل في النسيج الاجتماعي لتشكيل سلوكيات ومفاهيم وهويات الأفراد، من خلال هذا المفهوم يشير فوكو إلى انتقال السلطة من الذات الكلاسيكية ذات النزعة السلطوية إلى خلق فضاءات ومساحات يومية تعمل داخلها السلطة بشكل دقيق.[1]

المطلب الثالث: الطرح الذي تبناه فوكو حول علاقة المثقف بالسلطة

ينظر فوكو للعلاقة بين المثقف والسلطة بشكل جديد عمّا كانت عليه في الماضي، فقد أصبح المثقف يحمل ضمن حقول محددة لديه القدرة على تحدي الإيديولوجيات المُسَلّم بها وكشف آليات السلطة التي تعمل من خلال المؤسسات الخاصة، إذ يمكن للمثقفين توظيف خبرتهم لخلق نظم جديدة للأفكار والمفاهيم التي يمكن أن تساعد في تحدي السلطة السائدة. ولكن المشكل حسب فوكو يكمن في أنّ القضية الأساسية لا تكمن في مجرد نقد الأسس الإيديولوجية التي قد ترافق العلم أو السعي لتحقيق ممارسة علمية خالية من الإيديولوجيات الخاطئة بل يذهب إلى أبعد من دلك بإنشاء طرق يتم بها تكوين سياسة جديدة داخل المجتمعات من خلال النظم السياسية والاقتصادية، ويعتقد فوكو أنّ الحقيقة ليس مجرد كشف عن حقائق موضوعية بل هي منتجة أساسا بفضل تلك النظم لذلك فبالنسبة له أنّ تغير الوعي الفردي ليس كافيا

[1] معوشي حياة، حاج علي كمال: مفهوم السلطة، مرجع سابق، ص11.

وإنّما يحب علينا إعادة هيكلة النظم التي تشكل وتوزع الحقيقة ذاتها.[1] وبالتالي فللمثقف دور أساسي في التغيير السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي يمكن من خلاله تشكيل سياسات الحقيقة بطرق جديدة، ويعتبر المثقف ممارسا للسلطة عندما يشارك بشكل مؤثر في صوغ وإعادة توزيع الحقيقة داخل المجتمع وبذلك يمكن القول أنّ المثقف يتمتع بسلطة لأنه قادر على التأثير في النظام العام والمساهمة في خلق مساحات جديدة للحوار، والمعرفة تتحدى النظام القائم.

إنّ الحقيقة التي يسعى المثقفون لتشكيلها ونشرها لا تخرج عن نطاق السلطة بل هي منتجة في إطارها ومدعومة من قبل الإرادة السياسية التي تشكل وتعزز مفهوم الحقيقة، والحقيقة كما يشير فوكو مركزة بشكل أساسي في الخطابات والممارسات العلمية وهي تنتج وتصاغ في المؤسسات التي تتأثر وتخضع للقوى السياسية والإرادة السلطوية لا تعمل خارجا عن نطاقها بل تضمن أنّ الأفكار التي تعتبر حقائق تنتج وتنشر في رحاب السلطة نفسها وتبث عبر مؤسساتها.[2]

إنّ المثقف سواء كان جزءا من النظام الحاكم أو يقف مستقلا عنه فإنه ينخرط في شبكة علاقات وتفاعلات السلطة حسب فوكو، فالمثقف في أي من الحالات كان يجد نفسه ضمن حيّز تأثير السلطة، يشارك في توظيف اللغة وتشكيل المفاهيم ويصبح بذلك جزءا من لعبة السلطة من خلال مساهمته في صياغة الوعي الجماعي، يتداخل المثقف بعمق مع المجال السياسي مما يؤكد فوكو على دور المثقف كحقل بارز في الحقل السلطوي.[3]

---

[1] أعمر هرموش: المثقف والسلطة المشتركة في كتابات ميشيل فوكو، مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، المجلد02، العدد03، 2020، ص09.

[2] اسماعيل نقاز: جدلية المعرفي والسياسي، مرجع سابق، ص92.

[3] عبد الرحمان حبيب: سلطة المثقف ومثقف السلطة، 2009/07/06، اطلع عليه في 2024/04/25، https://www.al-jazirah.com

فباعتبار السلطة موجودة في جميع العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.... يعتبر الفرد المثقف أيضا جزء من شبكة هذه العلاقات أو التفاعلات ولا يمكن أن يكون مستقلا تماما عنها، ودوره في تشكيل وعي المجتمع يجعله في تقاطع دائم مع السياسي باعتبار أفكاره قد تؤثر في السياسات العامة، كما أنّ السلطة قد تؤثر في نشاط المثقف لذلك يشدد فوكو على أنّ المثقف يجب أن يكون حذرا في تعاملاته مع السلطة لفهم كيفية عملها لكي يستطيع التعامل معها.

يرى ميشيل فوكو أنه كما أنّ للسلطة أغراض ومصالح تسعى لتحقيقها وكما يمكن لها التحكم في المثقفين وتوجيههم فإنّ المثقفون كذلك يملكون مصالح وأهداف خاصة، فالمعرفة التي ينتجها المثقف ليست بمعزل عن الأدوار السلطوية والسياسية فهو أيضا يتداخل ويتفاعل مع هذه الأدوار بطرق قد تعزز السلطة القائمة أو تحد منها، فيشير فوكو إلى أنّ المعرفة لا تكون قائمة بذاتها بل هي محور تفاعلات تخدم أهداف الطرف القادر على التحكم واستخدام تلك المعرفة لمصلحته يقول فوكو:" الدور الحقيقي للمعرفة ليس سوى مجرد أداة للمصلحة كما تخضع المعرفة لتوجيه السلطة وتستخدمها من أجل غاياتها."[1]

[1] دروس ميشيل فوكو، ترجمة: أحمد ميلاد، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ص13.

المبحث الثالث: الخطاب وعلاقته بالسلطة والسياسة

المطلب الأول: علاقة الخطاب بالسلطة

- العلاقة بين الخطاب والسلطة علاقة حساسة ويصعب ضبطها بتعبير فوكو، حيث يقول:" ينبغي أن نسلم بوجود لعبة معقدة وغير مستقرة حيث يكون الخطاب في آن واحد أداة في يد السلطة ونتيجة لممارستها، وقد يكون عائقا مصطدما به ونقطة مقاومة وانطلاقة لاستراتيجية متناقضة، الخطاب ينقل السلطة وينتجها، وفي نفس الوقت يقويها، ولكنه أيضا يلغمها يفجرها يجعلها هزيلة ويسمح بإلغائها."[1]

وحاصل ذلك أن العلاقة بين كل من الخطاب والسلطة علاقة معقدة ومتميزة في الآن ذاته لأنّ الخطاب من جهة يمكن له أن يعزز السلطة عبر نقل وانشاء القوانين، ومن جهة أخرى يحمل ما يمكن أن يهدد ويزعزع الهيكل السلطوي الذي يساهم في بناءه من خلال تحدي المفاهيم السائدة والأسس والافتراضات التي تقوم عليها السلطة، فالخطاب يملك القدرة بحسب فوكو أن يكون مؤثرا بطرق لا يمكن توقعها، كما لا يمكن السيطرة عليه بسهولة، وهذا ما يسبب التوتر في العلاقة بينه وبين السلطة.

- إنّ الخطاب عبارة عن:" عناصر أو كتل تكتيكية في حقل علاقات القوى، قد تكون هناك أشكال متباينة منها وحتى متناقضة داخل الاستراتيجية الواحدة نفسها، وبالعكس يمكن أن تنتقل هذه الخطابات بين استراتيجيات متناقضة دون أن يتبدل شكلها."[2]

فالغاية من استخدام هذه الخطابات المتنوعة رغم تناقضها أحيانا هو توسيع النفوذ والسيطرة دون تغيير الهدف الأساسي ما يجعلها وسائل فعالة في إدارة علاقات القوى، وبهذه الطريقة

[1] ميشيل فوكو: إرادة المعرفة، تر: مطاع صغدي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، 1990، ص109.

[2] المصدر نفسه، ص109.

يمكننا ابراز بعض الأفكار والمعتقدات التي تعبر عن وجهات نظر سياسية أو اجتماعية... ومن جانب آخر يمكن مناقشة أو تفويض تلك المعتقدات.

- وفقا لفوكو الخطاب يعمل كوسيلة لممارسة السلطة ويظهر ذلك في قوله:" انتاج الخطاب في كل مجتمع هو في نفس الوقت انتاج مراقب ومنتقى ومنظم، ومعاد توزيعه من خلال عدد من الإجراءات التي يكون دورها هو الحد من سلطاته ومخاطره والتحكم في حدوثه المحتمل واخفاء ماديته الثقيلة والرهيبة."[1]

فكما هو معلوم الخطاب يملك قوة وتأثير كبيرين فهو ليس فقط مجرد تعبير عن الأفكار وكفى بل هو أداة قوة تؤثر في المجتمع وتنظيمه لذلك لابد من تدابير وإجراءات تتخذ للتحكم فيه، من خلال هذه التدابير يوضح فوكو كيف يستخدم الخطاب كأداة للسلطة والتحكم لذلك فعلى صاحب الخطاب قبل أن يقوم بتوجيه خطابه أن يكون واعيا وعلى دراية بهذه القيود، ويجمل فوكو هذه التدابير أو القيود في ثلاثة أنواع رئيسية يبرزها بوضوح قوله:" من بين منظومة الإبعاد الثلاثة الكبرى التي تمس الخطاب: الممنوع وقسمة الحمق وإرادة الحقيقة."[2]

1-المنع:

" أكثر هذه الإجراءات بداهة وأكثرها تداولا كذلك هي المنع، إنه ليس لدينا الحق في أن نقول كل شيء وأننا لا يمكن أن نتحدث عن كل شيء في كل ظرف، ونعرف أخيرا ألا أحد يمكنه أن يتحدث عن أي شيء كان، هناك الموضوع الذي لا يجوز الحديث عنه وهناك الطقوس الخاصة بكل ظرف."[3]

[1] ميشيل فوكو: نظام الخطاب، مصدر سابق، ص04.

[2] المصدر نفسه، ص10.

[3] المصدر نفسه، ص04.

والمراد من النص هو تسليط الضوء على القيود التي تفرضها المجتمعات على الخطاب، فليس كل شيء يمكن قوله في أي وقت وفي أي سياق فهناك قيود تمنع صاحب الخطاب من التحدث بحرية عن بعض المواضيع أو في بعض السياقات، ففي بعض المجتمعات التحدث عن الدين بشكل نقدي يكون محرما فعليك أن تسمع وتتبع فقط، وفي مجتمعات أخرى النقاش حول القضايا الجنسية أو السياسية يمنع الحديث عنها، فهذا الإجراء يتضمن مجموعة من القيود والضوابط التي تفرضها المجتمعات على الخطاب، هذه القيود تضمن أنّ ما يقال يكون ضمن ما هو مسموح به.

2-القسمة بين العقل والجنون:

منذ العصور الوسطى فقدت القدرة على الإنصات أو النقاش والاستماع إلى ما يعتبر جنونا حيث تم تجاهله على أساس أنه إما خطاب بلا معنى أو خطاب ذو طبيعة استثنائية يشير إلى أبعاد فكرية أعمق من تلك التي يمكن للخطاب العادي بلوغها، وفي كلتا الحالتين لم يعط لكلام المصنفين "بالجنون" أي وجود حقيقي بل كان ينظر إليهم على أنهم الموقع الذي تمارس فيه عملية القسمة أي النقطة التي يتم فيها تحديد وفصل ما يعد عقلانيا عن غير العقلاني.[1]

3-التعارض بين الحقيقة والخطأ:

يرى فوكو أنّ التعارض بين الحقيقة والخطأ من أكثر منظومات الإقصاء خفاءً لأنه لا يتخذ طابعا عنيفا ولكنه يصبح واضحا عندما نكشف عن إرادة الحقيقة التي توجه وتحكم وتؤثر على خطاباتنا ويعود بنا فوكو إلى الجذور التاريخية لهذا التعارض كالتراث اليوناني، حيث كان الخطاب الحقيقي قبل نشوء الفلسفة هو الخطاب المهيمن ذو الطقوس الخاصة الذي يؤدي إلى ممارسة محددة فأدى التحول الأفلاطوني وطرد السوفسطائية إلى انتقال الحقيقة من الفعل الطقوسي الناجع والصائب أي فعل النطق إلى المنطوق نفسه، أي معناه وشكله وموضوعه

[1] السيد ولد أباه: التاريخ والحقيقة لدى ميشيل فوكو، الدار العربية للعلوم، ط01، 2004، ص175.

وعلاقته بالمرجع الذي ينتمي إليه، فلم يعد الخطاب الحقيقي بعد ذلك هو الخطاب القيم والمرغوب فيه لأنه لم يعد مرتبط بممارسة السلطة. ويلاحظ فوكو أنّ إرادة الحقيقة قد تطورت وتغيرت وتعددت أشكالها عبر التاريخ فإرادة الحقيقة التي تنظم المعارف في القرن التاسع عشر تختلف في موضوعاتها وتقنياتها عن إرادة الحقيقة التي أسست الثقافة الكلاسيكية، كما أنّ لإرادة الحقيقة بنى مؤسسية تدعمها مثل منظومات الإقصاء الأخرى. ويتجلى ذلك في الكم الهائل من الممارسات المرتبطة بها مثل علم التربية والنشر والطبع والجمعيات العلمية والمختبرات، كما يتضح ذلك أيضا في كيفية تقديم المعارف واتخاذها أشكالها المختلفة مثل: المبدأ اليوناني، حيث أنّ منزلة الرياضيات في المدن الديمقراطية تعلم المساواة بينما تعلم الهندسة في الأوليغارشيات الّاتساوي والتفاوت، حيث نجد أنّ إرادة الحقيقة شكلت سلطة قوية تقمع الأشكال الأخرى للخطاب مثل تأسس الأدب الغربي على نموذج الحقيقية، وكذلك تشكل القانون والاقتصاد الذين يقومان على المعقولية العلمية، وبذلك يرى فوكو أنّ هذه المنظومة الأخيرة (إرادة الحقيقة) هي من بين منظومات الإقصاء الأكثر صلابة وصرامة.[1]

المطلب الثاني: علاقة الخطاب بالسياسة

في المقابلة التي أجراها ميشيل فوكو مع مجلة Esprit التي كان سؤالها لفوكو عن مفهوم القطيعة والنظام في دراسة تاريخ الأفكار، قد تحدث فوكو عن الأبعاد السياسية لهذه المفاهيم ونتائج هذا الاستعمال من الناحية السياسية معبرا عن أفكاره من خلال تحليل تاريخي للخطابات والممارسات وأحد الأمثلة التي استخدمها كان خطاب الطب في الجزء الثاني من جوابه.[2]

يؤكد فوكو أنّ البحث حول علاقة الخطاب بالممارسة السياسية يقتضي بالضرورة جانبين الأول يقتضي فحص الممارسات التحليلية النقدية التي يقوم بها وينفذها خطاب ما داخل ميدان خطابي معين ذو صلة، والثاني يتطلب التدقيق في حقل التحليلات ومجموعة المفاهيم التي

[1] السيد ولد أباه: التاريخ والحقيقة لدى ميشيل فوكو، مرجع سابق، ص176.

[2] الزواوي لغورة: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، مرجع سابق، ص133.

يحاول الخطاب كشفها وابرازها وربطها بسياسة معينة أو بممارسة سياسية تهدف إلى التغيير والتقدم، بالنسبة للجانب الأول في تحليله للعلاقة وهو الجانب النقدي يتكون من عدة خطوات:

أ- تحديد وإقامة حدود بالانتقال من التاريخ التقليدي الذي يعد مجالا واسعا وغير محدود إلى ممارسة تحديد الخطابات من خلال معايير معينة مع رفض فكرة التأويل وتفسير النصوص ومسلمة وجود الذات المؤسسة ومسلمة الأصل أو المبدأ الذي لا يتغير.

ب- إزالة التعارضات الثنائية: يتخطى فوكو التفكير القائم على الثنائيات المتعارضة كالقديم والجديد، الأصيل والمعاصر، التقليد والإبداع، الثبات والتغير، ويقوم بإنشاء حقل لتحليلات تفارقية تبحث في الاختلافات والتقاطعات بين الخطابات بطريقة أكثر تعقيدا وتتجنب البساطة الزائفة المتعلقة بالتصنيفات الثابتة.

ت- التخلي عن الفروع العلمية المعترف بها كتاريخ الفكر أو تاريخ العلوم، ويقترح بدلا من ذلك تحليل الخطابات في سياق تكونها وتشكلها.[1] وبهذه الطريقة يدخل فوكو منهجية جديدة لتتبع كيف تؤثر الخطابات وتتشكل من خلال العلاقات السياسية، مما يكشف عن الطرق التي نتمكن بها من فهم الخطابات أو ممارستها.

إنّ الخطوات والعمليات السالفة الذكر تؤسس لاستقلالية الخطاب بحيث لا ينظر إليه على أنه كتلة واحدة كما هو الحال في تاريخ الفكر، فهي عندما تنظر للخطاب تجرده من محتواه الظاهر وتركز على التقنيات والاستراتيجيات المستخدمة داخله " في تحليل الحقل الخطابي لا يتوجه الاهتمام اطلاقا إلى البحث خلف ما هو ظاهر عن الثرثرة شبه الصامتة لخطاب آخر، بل على اظهار لماذا صعب عليه أن يكون غير ما كان، وكيف ينفرد بذلك الحق على غيره من الخطابات الأخرى."[2] أهمية هذه الطريقة من التحليل تكمن في كيفية تحديد الخطاب

[1] الزواوي بغورة: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، مرجع سابق، ص134.

[2] ميشيل فوكو: حفريات المعرفة، تر: سالم يغوت، المركز الثقافي العربي، ط02، 1987، ص27.

للأفكار والقيم التي يمكن طرحها ولما مقبول قوله وما هو غير مقبول، فالخطاب ليس مجرد وسيلة لإيصال المعلومات وإنما يعد أداة من أدوات تشكيل الوعي.

أما الجانب الثاني فيتطلب حسب فوكو فهم كيفية دراسة علاقة هذه الخطابات في كيفية تفاعلها مع الممارسات السياسية، وذلك بتحليل شروط ووظائف الخطابات العلمية والجدير بالذكر أنّ فوكو لم يركز على خطابات العلوم الدقيقة كالرياضيات أو الفيزياء وإنما على تلك الخطابات التي تقع ضمن نطاق العلوم الأقل علمية كالطب والاقتصاد، أو بصفة عامة الأكثر ارتباطا بالعلوم الإنسانية، فدراسة الخطاب العيادي مثلا الذي ساد في بدايات القرن التاسع عشر يوضح أنّ هناك علاقة بين هذا الشكل من الخطاب العلمي بالتطورات الهامة ضمن الساحة السياسية كما هو الحال مع الثورة الفرنسية والذي يتضمن تحليلا لمضمونه يقوم على التعمق في الممارسات والخطاب الطبي لا على أساس التغيرات التي حدثت في وعي الناس وطريقة إدراكهم للأشياء بل يركز على التأثير الذي مارسته الممارسات السياسية على شروط ظهور الخطابات العلمية.[1] بمعنى آخر يرى فوكو أنّ الممارسات السياسية لم تغير فقط محتوى الخطابات العلمية بل وساهمت بشكل مباشر في تشكيل وظهور هذه الخطابات العلمية نفسها، فينصب فيها التركيز على فحص وتحديد الشروط والوظائف التي تعمل بها الخطابات العلمية ونتيجة لذلك ظهر ما يسمى بالخطاب الطبي.

يتشكل الخطاب الطبي عبر سلسلة من الإجراءات والقواعد التي تحدد بدقة من لهم الحق في امتلاك وإدارة الخطاب الطبي مثل الأطباء والتقنيون، ويتضمن ذلك تنظيم جديد للمواضيع ضمن الحقل الطبي من خلال ادخال نظام جديد للملاحظات إلى جانب وظائف اجتماعية جديدة للمستشفيات وأساليب محدثة لتسجيل وحفظ واسترجاع وتوزيع المعلومات الخاصة بالخطاب الطبي، وأخيرا يلعب الخطاب الطبي دورا هاما في نظام المراقبة الإدارية والسياسية

[1] الزواوي بغورة: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، مرجع سابق، ص135.

للسكان.[1] وهذا يعني أنّ الخطاب الطبي لا يقتصر على الجوانب العلاجية والتشخيصية فقط بل يمتد تأثيره ليشمل دور أوسع يتمثل في مراقبة وإدارة الصحة على نطاق الجماعات لذلك يقول فوكو:" الممارسات السياسية بدلت شروط ظهور الخطابات أو بدلت طريقة وجود الخطاب الطبي."[2]

تظهر رؤية ميشيل فوكو أنّ التداخل بين الممارسات السياسية والخطابات العلمية تلعب دورا مهما بما في ذلك الخطاب الطبي حيث يُظهر أنّ السياسة فاعل رئيسي يحدد كيف ومتى وأين تظهر المفاهيم الطبية وتتفاعل مع مختلف جوانب الحياة الاجتماعية، وهاته المقاربة المعرفية الجديدة التي يقدمها فوكو لتحليل العلاقة بين الخطاب والممارسة السياسية هي مقاربة تتجاوز النظرة المثالية التقليدية حيث يدعو إلى تأسيس ألسنة اجتماعية تفحص كيف تتأثر المنطوقات الطبية على سبيل المثال بالسياق الاجتماعي الذي تمارس فيه كالمستشفيات مثلا.[3]

[1] الزواوي بغورة: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، مرجع سابق، ص135.

[2] Michel Foucault : Réponse une question – inesprite , n371, 1968, p864.

[3] الزواوي بغورة: بين اللغة والخطاب والمجتمع مقاربة فلسفية اجتماعية، انسانيات، مج 06، العدد03، 2002، ص37.

خلاصة الفصل:

بعد عرضنا للفصل الثاني المسمى ب" جدلية المثقف والسلطة في فكر فوكو" والذي يعتبر أهم الفصول كونه يشتمل على أساس الموضوع حيث يرتبط بفهم فوكو للمثقف ودوره وعلاقته بالسلطة، حيث اكتشفنا مفهوم المثقف الجديد عند فوكو الذي يميزه عن المثقف الكلاسيكي الذي كان ينظر إليه بأنه يملك معرفة واسعة ليجعله فوكو يعمل داخل موقع معين، ويستعمل معرفته للتأثير على هذا الموقع، فيهدف إلى تغيير الهياكل السلطوية والمعرفية من خلال تدخله المباشر، ويحذر فوكو من خطر الممارسات السلطوية التي قد تتحكم في المثقفين حيث يمكن للدين أن يفرض قيودا على تفكير المثقف وحريته في التعبير، كما يمكن للغة أن تكون وسيلة للسيطرة عبر فرض نماذج محددة من التفكير والتعبير، وقد يفرض المجتمع تقاليد وأعراف قد تحد من قدرة المثقف على النقد مما يجعلهم أدوات للسيطرة، وفي مفهومه للسلطة يبدأ أولا بتفكيكه للتصورات القديمة ويعرض فهمه الجديد لها كشيء موجود في كل مكان وليس كمورد أو ملكية، وفي الأخير تمكنا من فهم كيف يعمل المثقف على تحليل وتفكيك أنظمة السلطة وكيف أنّ السلطة تسعى لتطويعه والسيطرة عليه، فيوضح فوكو أنه على المثقف أن يكون واعيا وأن يعمل على مقاومة كل أشكال السيطرة التي تفرض عليه وناقشنا كذلك علاقة الخطاب بالسلطة والسياسة باعتبار الخطاب وسيلة تتشكل من خلالها الحقائق فهو جزء من ممارسات السلطة وأحيانا يكون ميدانا للصراع، كما أنّ المثقف عبر الخطاب يتدخل في المجال السياسي من خلال الطرق التي يساهم بها في تشكيل الأطر التي تحدد ما هو مقبول مفكر فيه وما هو مرفوض.

الفصل الثالث

أبعاد نظرة فوكو للسلطة وحدودها

- **المبحث الأول:** السلطة وتجلياتها.
- **المبحث الثاني:** امتداد فكرة السلطة عند فوكو والانتقادات الموجهة له.

تمهيد:

كانت لحظة فوكو تحولا بارزا في الفلسفة فقد نزع الستار عن كل مسلماتها وأسسها التقليدية بانحرافه عن المسار المعتاد للبحث الفلسفي، فلم يكتف بالاعتماد على الوثائق الرسمية فقط بل بحث عن ما لم يقله التاريخ الرسمي وبحث في مواضيعه عن الجوانب المهملة في التاريخ الرسمي، وبحث في وثائق غير الوثائق المعتادة وكرّس جهده لدراسة مواضيع لم تطرح من قبل، ولطالما كانت مخفية ولم يعطها الفكر الغربي الاهتمام الكافي بل لم ينتبه لها أصلا فنزل إلى أماكن لم ينزل لها أحد من قبل كالسجون، المستشفيات، الجامعات، والمحاكم، وهذه الأماكن كشفت له عن الأنماط الخفية للسلطة التي تتحكم في حياة الأفراد وتأثيرات كل واحدة منها على الأخرى.

وهذا ما يدفعنا لطرح التساؤل التالي: كيف تستخدم السلطة مؤسسات كالسجون والأطر الخاصة بالجسد، أو المفاهيم المتعلقة بالجنون للتحكم في الأفراد؟

المبحث الأول: السلطة وتجلياتها

المطلب الاول: تجلي السلطة في الجنون

يرى فوكو أنّ السلطة تتجلى في تقنيات ومؤسسات انضباطية مختلفة، ومن بين هذه التقنيات نجد الجنون كمؤسسة من بين المؤسسات الدالة على كيفية تمثيل السلطة لذاتها من خلال فرض قواعد وتعريفات، وممارسات محددة على الأفراد لإدارتهم وضبطهم وفق ما تراه السلطة المهيمنة مناسبا، فنجد السلطة اعتمدت معايير أو تعريفات معينة للعقلانية والجنون كأدوات لفرض السيطرة والتحكم الاجتماعي ولما يعتبر سلوكا مقبولا أو غير مقبول، فمن يفكر مثل ما تمليه السلطة فهو عقلاني أما من يفكر بطريقة مخالفة فسلوكه غير مقبول، فترى السلطة الأفكار التي تتحدى سلطتها أو تتعدى على استقرارها أفكار غير عقلانية، ومن ثم يتم استخدام هذه المعايير لتصنيف الأشخاص وتنظيمهم ضمن هذا السياق، فباسم الجنون تم استبعاد ونفي وسجن وحتى تشريد أشخاص يشكلون خطرا على السلطة، وبالتالي فالتصنيفات الخاصة بالعقلانية والجنون لا تأتي عبثا بل هي نتاج لعلاقات السلطة وسبيل لممارسة تلك السلطة وفرض الرقابة والتحكم في الأفراد الذين يخرجون عن نمط التفكير والسلوك السائد، فالمؤسسات أو المستشفيات النفسية مساحة لعزل الأفراد وفرض أنماط من السلوك والتفكير عليهم، وبالتالي فإنّ هذا المجنون حينما يكون في المستشفى فالسلطة تفرض عليه أساليب معينة تجعله يخضع فيتم توظيف هذا النوع من العلاج كوسيلة تأديبية لإعادة دمج الأفراد وما يتناسب مع المعايير التي وضعتها السلطة.

يقول فوكو في كتابه "تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي":" إنّ المشكل الذي تكشف عنه وتخبئه معرفة الجنون في الوقت ذاته هو أن يكون الجنون قادرا على الانفتاح كليا على العقل ليسلمه كامل أسراره، هو الموجود باستمرار في تلك المناطق الأصلية للخطأ والمتملص باستمرار

من هذا العقل."[1] النص يعبر عن العلاقة بين السلطة والجنون حيث تحاول السلطة السيطرة على الجنون من خلال الفهم العميق لأسراره باعتباره يشكل تهديدا لها، فالجنون يتواجد فقط في الأماكن التي ينشأ فيها الخطأ، مقاوما ومتحررا من منطق العقل الذي يحاول دائما تطويعه فهو في تحدي مستمر لسلطة العقل والنظام الذي تمثله.

يقول فوكو:" فعندما كان القرنان 17 و18 يعتقلان الجنون كما كان يفعلان مع الانحراف أو الانحلال، فإنّ أساس موقفهما لا يعود إلى كونهما كانا يجهلان طبيعة الجنون المرضية بل لأنهما نظرا إليه من زاوية أخرى."[2] أي أنّ التعامل مع الجنون كجريمة أو انحراف أخلاقي وعزل الأشخاص المجانين عن المجتمع ليس بسبب أنه حالة مرضية يجب علاجها بقدر ما هو انتهاك وتهديد لما يعتبر غير مقبول أو خطيرا بالنسبة للمعايير الاجتماعية الراسخة، فاستخدمت السلطة هذا المفهوم لمحاولتها فرض نظام معين ولقمع كل ما كان يعتبر غير مقبول.

يعتقد فوكو أنّ جل الأشخاص الذين كانوا يعتقلون أو يتم ارسالهم للمستشفى تحت مسميات الحماقة وفقدان السيطرة على أنفسهم أو على أساس أنهم أشخاص استلبت أذهانهم، لو ندقق في تفاصيل السجلات نجد أنهم يشتركون حساسية معينة ولن يتم تدارك الدافع الحقيقي للتعامل معهم بهذا الشكل إلا بعد مرور ما يزيد عن القرن ونصف من حجزهم، حيث اكتشف الناس أنّ من بين هؤلاء السجناء من كان يعبر عن مقاومة وغضبا وعنفا من نوع مختلف وقد تم وضعهم في المستشفى على أساس أنهم مجانين وباسم الجنون بمجرد أنّ السلطة اعتبرتهم

[1] ميشيل فوكو: تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط01، بيروت، لبنان، 2006، ص271.

[2] المصدر نفسه، ص134.

خطرا على نفوذها. فاعتقالهم دون تحديد هل هم مرضى أم مجرمين أمر يعكس السلطة التي أعطاها العقل الكلاسيكي لنفسه.[1]

ويهدف الحفر الفوكوي إلى إظهار أنّ طريقة التعامل مع الجنون تغيرت عبر العصور من العصر الوسيط مرورا بعصر النهضة ثم الكلاسيكي ووصولا إلى العصر الحديث، باعتبارها مرتبطة بالسياقات الثقافية والتاريخية وهي نظرة غير مبنية على الفهم الدقيق للجنون وإنما تتماشى والأيديولوجيا السائدة، وقد استخلص فوكو عدة نقاط رئيسية خلال تحليله لدراسة الجنون عبر تلك العصور مبرزا أساليب وآليات الإكراه التي استخدمتها السلطة داخل المستشفيات متخذة من المعالجة غطاء لممارستها من بينها:

- استعمال السلطة للشخص المجنون كأداة لترهيب المجتمع.[2] وذلك من خلال تصوير الجنون كخطر قد ينتشر إذا لم يتم السيطرة عليه بما يخلق حالة من الخوف والامتثال للنظام والقلق بين الناس، والرهبة تجاه أي تصرف يبتعد عن المعتاد من خلال اظهار الجنون كشذوذ يجب الحذر منه وعزله.
- استغلال السلطة للغموض الذي تتميز به ظاهرة الجنون من خلال توظيف الأشخاص المصنفين على أنهم مجانين في القطاعات الاقتصادية والاجتماعية لدفع عجلة الثورة الصناعية، خاصة في ظل الأزمة الاقتصادية التي كانت تمر بها فرنسا في تلك الفترة، إذ كانت السلطة تعامل المجانين في أسوء الظروف.[3] أي أنّ السلطة استغلت التفكير الذي كان غامضا حول الجنون سواء من حيث فهمه أو من حيث طرق علاجه بطرق تخدم منافعها وخاصة الاقتصادية في خِضَّم ذلك الوضع الذي كانت فيه فرنسا في أزمة اقتصادية، وكانت بحاجة لليد العاملة لدفع عجلة الإنتاج ليتم توظيف الأشخاص

[1] ميشيل فوكو: تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، مصدر سابق، ص134-135.

[2] إيجا حسينة: ميكانيزمات السلطة عند ميشيل فوكو، مجلة المداد، مجلد 12، العدد01، 2022، ص42.

[3] المرجع نفسه، ص42.

المصنفين على أساس أنهم مجانين في مؤسسات ومصانع تستفيد من عملهم، فيتم التعامل معهم كموارد تشتغل لتحقيق مكاسب اقتصادية وليس كمرضى بحاجة إلى العناية والعلاج.

- تحول الجنوب إلى تهمة تلصق بالأشخاص الذين تراهم السلطة مصدر إزعاج أو تهديد للنظام القائم، حيث تم تشجيع إحالتهم إلى المصحات كوسيلة أو كشكل من أشكال العقوبة والتحكم الاجتماعي.[1]

يرى ميشيل فوكو أنّ المصحات النفسية ليست مراكز للرعاية الطبية وليس لها أي معنى طبي بل هي احتجاز للمجانين كما تسميهم، احتجاز ليس الهدف منه العلاج الطبي بل يحمل أبعادا سياسية واجتماعية، أبعاد تخدم البنى السلطوية بالدرجة الأولى، فيبين فوكو كيف تطورت هذه المصحات العقلية التي تعالج المريض العقلي فأعطت للعقل حريته وأقصت اللاّعقل داخل هياكل استبدادية لا تستعمل فقط وسائل الإقصاء والتعنيف بل تأسست على مبدأ السلطة التأديبية التي تراقب وتعيد تشكيل سلوك الأفراد من خلال التقنيات الحديثة الشمولية القادرة على مراقبة كل جانب من جوانب الحياة فتتغلغل سلطتها في جميع مظاهر الوجود الاجتماعي، فظهور المستشفيات النفسية حسب فوكو لم يكن بسبب حرص الدولة على احتواء المصابين بالجنون ولكنه بمثابة أداة استراتيجية لتحسين صورتها وتعزيز بنيتها السلطوية فالممارسات التي كانت تقام داخل المستشفى ممارسات قهرية ولا إنسانية تتخذ من علم النفس موضوعا لتبرير ممارستها، فعملت هذه المشافي على سجن الجنون داخل إطار النموذج الطبي العقلاني وفرضت قيودا شديدة عبر علاجات تستند إلى السلطة والتحكم، والطب العقلي الذي ولد داخل هذه العلاجات يقوم على الملاحظة، وهكذا أعلن على ميلاد حجز استشفائي يقوم على الحوار بين الطبيب والمريض.[2]

[1] إيجا حسينة: ميكانيزمات السلطة عند ميشيل فوكو، مرجع سابق، ص42.

[2] عامر إيمان: التأسيس الحداثي لقداسة العقلانية ودناسة الجنون، مجلة رفوف، مجلد11، العدد02، 2023، ص160.

ومما سبق نجد فوكو يؤكد على أنّ الدور الذي لعبته المشافي ليس هو الدور المنوط لها فبدلا من أن تكون وسيلة للرعاية وشفاء لأصحاب المشكلات النفسية فقد تم استخدامها كوسيلة لتعزيز الهياكل السلطوية التي تحكم المجتمع، ولم تكن هناك أصلا رغبة في توفير العلاج وغايتها الأساسية كانت تحويل المريض إلى كائن خاضع للامتثال والطاعة، هي ممارسة وآلية لتأكيد وتعميق وتثبيت النفوذ السلطوي من خلال استخدام علم النفس، ليُعلَن مؤخرا عن ميلاد حجز استشفائي وهو اسم لغير مسمى لأنّ واقع الممارسات داخل المستشفيات النفسية يختلف كليا عمَّا يوحى به المسمى في ظاهره يوحي إلى عملية علاجية ولكن جوهره يبعد العلاج عن كونه مسعى إنسان ويحوّله إلى نوع من النظام الاجتماعي يستطيع من خلاله التحكم في الأشخاص الذين يعتبرون مخالفين لما هو سائد وخطيرين على النظام.

إنّ الطريقة التي تستخدمها الممارسات العلاجية داخل المؤسسات النفسية طريقة تعكس نوعا من أنواع الاستيعاب على إدارة المرضى وإجبارهم بالتلفظ بخطابات يفرضها النظام الطبي لا شأن للمريض بها ولا تعنيه، كما يتم غصب المرضى على علاجات تبدو غريبة فإن قام المريض بردة فعل ما فسيؤدي به ذلك إلى التصنيف كمصاب بمرض عقلي، مما يعرضه للأدوية النفسية وعقاقير لا يحتاجها ولا تخدم صحته، ويرى أنّ الطبيب يمارس سلطة مطلقة على المجنون ويصنف له نوع العلاج الذي يريده، فيمارس سلطته عليه بكل حرية وذلك عبر النقاشات التي تحدث بينه وبين المريض، فالطب النفسي الحديث ليس إلا نتاج لعلاقات سلطة فرضت قيامه داخل المستشفيات، وهو أداة في يد الدولة لتعزيز سلطتها في المجتمع.[1]

[1] عامر إيمان: التأسيس الحداثي لقداسة العقلانية ودناسة الجنون، مرجع نفسه، ص161.

المطلب الثاني: تجلي السلطة في السجن

" ومن بين أشكال الانضباط المختلفة يفرد فوكو للسجن مكانة مركزية باعتباره مثال لتحكم السلطة أو بتعبيره أنّ السلطة تتعرى أو تظهر عارية في السجن."[1] يتبين أنّ ميشيل فوكو في نظرياته حول الانضباط أنه يجعل من السجن مثالا بارزا وكاشفا لكيفية تمثل السلطة في أشدها وضوحا وجلاء، فيبرز السجن كأحد أوضح أشكال السيطرة التي تمارسها وتنفذها السلطة، بمعنى آخر في السجن تكون الآليات السلطوية ظاهرة بشكل لا يخفى، فالسجن يكشف بلا ستار عن القوة التي تتبعها السلطة نفسها مظهرة كيف تستخدم مختلف أساليب وتقنيات الانضباط.

إنّ السجن في نظر فوكو ليس فقط مكانا للعزل أو الحبس والعقاب بل هو مؤسسة تكشف عن كيفية تعزيز السلطة وتأثيرها داخل المجتمع، فهو بمثابة نموذج مصغر للجسم الاجتماعي كما يصوره فوكو حيث يزيد في الهياكل السلطوية بشكل مكثف وهو " لا يقوم عن طريق الحبس والتقويم والتطويع إلا باستحداث كل الأولويات الموجودة في الجسم الاجتماعي تقريبا بعد أن يكون قد زاد فيها السجن ثكنة صارمة قليلا، مدرسة بدون تساهل، مَشْغَل قائم ولكنه في نهاية الأمر لا يختلف عنها بشيء من الناحية النوعية."[2] أي أنّ السجن يعمل كأداة تظهر فيها الأساليب التي تستخدمها السلطة لتشكيل الأفراد وسلوكهم في الحفاظ على النظام والسيطرة داخل المجتمع، كما أنّ هذه الأساليب لا تقتصر على السجون بل تمتد لتشمل مؤسسات وهياكل أخرى كالمدارس، والجيش أو الشرطة... فالأساليب التي يتم بها التحكم في السجناء داخل السجن هي نفسها الطرق في الهياكل المجتمعية الأخرى، وجميعها تلعب دورا هاما في تعليم المجتمع دروسا حول السلطة والانضباط.

---

[1] الزواوي بغورة: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، مرجع سابق، ص227.

[2] ميشيل فوكو: المراقبة والمعاقبة ولادة السجن، تر: علي مقلد، مركز الإنماء القومي، د ط، بيروت، لبنان، 1990، ص236.

لقد اتخذ السجن في القرن التاسع عشر دوره كأداة عقابية خاصة بعد الثورة الفرنسية حيث تم تبنيه كوسيلة عقاب شاملة واعتمده النظام الجزائي الطريقة المفضلة للعقاب بحثا عن القطيعة مع ممارسات العصر الكلاسيكي المتمثلة في أشكال التعذيب والعقاب القاسية لذا تم استخدام السجون بصورة تتوخى الاستفادة منها كفضاءات يتم فيها تطبيق أساليب مراقبة وتأديب على السجناء وذلك لتحقيق الرقابة والسيطرة بأسلوب منظم، وقد اعتمدت المنظومة التأديبية على مبدأين أساسيين: الأول هو مبدأ الاخضاع أو التطويع ويهدف إلى التحكم المستمر والسيطرة على المحتجزين من خلال تدريبهم للتكيف مع ظروف لم يألفونها من قبل، يرتكز هذا المبدأ على المراقبة الدائمة لتصرفات وسلوك السجناء والزامهم بجدول زمني يضمن الانضباط ويلزمهم باتباع نظام يومي محدد مما يعزز النظام ويؤسس لثقافة الطاعة داخل المؤسسة العقابية، وثانيا التوزيع ويعتمد هذا المبدأ أو الفن على الفصل والترتيب الدقيق للسجناء ضمن أماكن معينة مما يعزز فاعلية النظام التأديبي وفقا لفوكو كانت هناك حاجة لتطبيق أساليب وآليات تأديبية جديدة كإنشاء مراكز مراقبة محصنة وتأمين الأفراد بأبواب من الحديد تحت هذا النظام تحولت واستبدلت وظيفة السجن حيث أصبح القاضي يستبدل دور الجلاء ليصبح ليس هو من ينفذ العقوبة بل من يقررها ويصدر الحكم على الجاني.[1]

[1] إيجا حسينة: ميكانيزمات السلطة عند ميشيل فوكو، مرجع سابق، ص46.

المطلب الثالث: تجلي السلطة في الجسد

يرى فوكو أنّ الجسد البشري أصبح من ضمن آليات السلطة، حيث خضع لممارسات سيطرة تتحكم فيه تحت مسمى "التشريح السياسي"، بحيث لم تعد السلطة ممارسة للعقاب أو انتزاع تنفيذ معين بل تطورت لتوجيه سلوك الفرد وحتمياته من خلال معايير معينة، فدرس فوكو العلاقة بين السلطة والجسد حيث رصد كيفية توجه خطابات المعرفة والسيطرة صوب الجسد البشري، لقد قدم تصورا جديدا للسلطة ينأى بنفسه عن المفاهيم التقليدية المتعارف عليها معارضا النظريات الحديثة حول التعاقد بين الأفراد والسلطة كما نقَّح المساحات الجديرة بدراسة السلطة فلم يراها كتوزيع أفقي محض بل كقوة راهنة ومنتشرة في كافة أرجاء المجتمع كالمستشفيات، المدارس، والثكنات بصورة دقيقة وشبيهة بالشبكة الأخطبوطية تراقب الجميع وتسعى دائما لترسيخ الانضباط داخل المجتمع عبر فرض نظام وقوانين تهدف إلى خلق جسد مطيع يتوافق مع النظام القائم والقيم الأخلاقية الراهنة.[1]

ومنه يتبين أنّ فوكو ينتقد كيفية استخدام السلطات للجسد كأداة لفرض سيطرتها على الأفراد وكيفية تصرفهم وتفكيرهم وليس فقط على مستوى العقوبات كما يشير فوكو إلى أنّ السلطة لم تعد مركزية وإنما انتشرت في كل مكان وتوزعت بشكل يشبه شبكة الأخطبوط دون أن يدركوا الأفراد مدى تأثيرها، فلم تظهر السلطة كمجرد قوة خارجية ولكن كجزء مدمج في كيان وجسد الفرد من خلال تأطيرها لكيفية تفكيره وتصرفاته وتفاعله مع الآخرين ورغباته.

وقد أشار فوكو إلى أنّ كل مجتمع يفرض على الجسد مجموعة من الموجبات والقواعد والمحظورات، فتطورت وسائل العقاب من مرحلة العقاب بالقوة والعنف إلى مرحلة التزاوج بين

[1] لوط تالية: الجسد بين الأخلاق والقانون في فلسفة ميشيل فوكو، مرجع سابق، ص05.

سيطرة القوة والمعرفة عن طريق الأساليب التنظيمية المعيارية التي تستثمر معارفه ومميزاته وصولا لتحقيق إطار أيديولوجي يتيح السيطرة من خلال المعرفة نفسها.[1]

وبذلك فعندما تشكل القوانين والقواعد سلوك الأفراد وتحدد كيف يجب أن يتصرفوا أو يفكروا فإنها بذلك تؤثر على كيفية استخدام الأفراد لأجسادهم وكيفية تفاعلهم مع العالم من حولهم، فالجسد يلعب دورا مركزيا في استراتيجيات السلطة التي تخلقها المجتمعات وتطورها عبر التاريخ، ويتشكل وفقا لما ينتجه النظام الاجتماعي، وبهذا الشكل لا يكون الجسد مجرد هدف تُفرض عليه السيطرة بل يصبح أيضا أداة لتلك السيطرة، ويتضح ذلك في قوله:" يأتي الاهتمام بالجسد من خلال انخراطه في اللعبة السلطوية القائمة تاريخيا كاستراتيجية تنطبع في الأجساد كهدف وأداة في نفس الآن."[2]

نلاحظ هنا أنّ للأجساد دور مزدوج داخل المجتمعات، الأول: الانتاجية وأن تكون فعالة ومفيدة، والثاني: تهميش جوانب الجسد والسيطرة عليها ويتم ذلك من خلال ممارسات السلطة بفرضها قيودا ونُظُمًا على الأجساد بطرق عنيفة وهو ما يطلق عليه كما أشرنا سابقا بالتكنولوجيا أو التقنيات السياسية للجسد وهذه الأخيرة تعامل الأفراد كجماعات يمكن التحكم بها. فالطاعة والانقياد للسلطة ترتبط بكيفية تطبيق السلطة لممارساتها على الأفراد داخل المجتمع.

[1] لوط تالية: الجسد بين الأخلاق والقانون في فلسفة ميشيل فوكو، مرجع سابق، ص05.

[2] ميشيل فوكو: المعرفة والسلطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط01، بيروت، لبنان، 1994، ص90.

المبحث الثاني: امتداد فكرة السلطة عند فوكو والانتقادات الموجهة له

المطلب الأول: امتداد فوكو في معاصره دولوز

لقد لاقت أعمال فوكو الرّواج في السّاحة الفكرية الغربية ولا سيما في الفكر المعاصر فأثر تأثيرا واسعا على الذين جاءوا بعده وحتى على معاصريه ومن ضمنهم جيل دولوز* الذي أجرى العديد من الدراسات تبحث في جوانب مختلفة من فكر فوكو، فالعلاقة قوية للغاية لدرجة أنه خصصت اليوم أبحاث مخصصة فقط لفهم العلاقة بين الفيلسوفين.

نجد دولوز من بين القلة المدركة لقيمة الأفكار التي قدّمها وتركها فوكو ويتضح ذلك من خلال إشادته لفوكو قبل وحتى بعد وفاته حيث يقول:" بمجرد أن يغادرنا مفكر عظيم، يجد الأغبياء راحتهم ويقيمون حوله صَخْبًا جهنميا."[1] فلطالما كان يعبر دولوز عن احترامه لأفكار فوكو ويرى بأنّ موت فوكو قد أتاح الفرصة لأشباه المثقفين الذين لم يتمكنوا من الغوص في عمق فكره أن يهاجموه وهو هجوم أو تشويه ناتج عن سوء فهم لا غير.

لما نبحث في أعمال دولوز لا نجد أي موقف يدل أو يحمل طابع المنافسة السلبية أو الغيرة، حتى حينما يشير بشأن الاختلاف في بعض وجهات النظر بينه وبين فوكو، يرى أنه أمر طبيعي ولا يولد بالضرورة تنافسا أو يستدعي خلافا ولعل أبرز ما يشترط فيه دولوز مع فوكو هو اتباعه خطى صديقه حيث واصل مسار النقد الذي بدأه فوكو ضد هيجل منتصرا هو الآخر للأفكار النيتشاوية[2] يتضح أنّ دولوز ينحو نحو صديقه فوكو فيتبنى مثله مثل فوكو فلسفة نيتشة ويعارض النظام الهيجلي فرحلتهما مشتركة، حيث يتجه كليهما نحو محاولة

*جيل دولوز: (1925-1995): فيلسوف ومفكر فرنسي، تنوعت أعماله ما بين التعاون مع مفكرين آخرين كما كتب بمفرده، كذلك ومن بين أعماله: معاداة أوديب الإختلاف والتكرار، البرغسونية، عاصر ميشيل فوكو، وكان هناك تأثير متبادل بينهما في بعض الجوانب الفكرية، وكتب كتابا خصصه لفوكو سلط فيه الضوء على مفاهيم ونظريات فوكو ثم قدّم رؤيته الخاصة حول هذه المفاهيم.

[1] Gilles Deleuze : Pour parlers, les éditions de minuit, Paris, 1990, p117.

[2] زهير قوتال: دولوز قارئا فوكو، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، المجلد09، العدد01، 2020، ص34-35.

التفكيك وإعادة النظر في كيفية تشكيل السلطة والمعرفة، كما يقترحان وجهات نظر فلسفية بديلة تركز على التعددية في مقابل المطلقية.

وفي كتابه الذي ألفه حول ميشيل فوكو "مدخل لقراءة فوكو" يتخذ دولوز مسلكا مختلفا عن ذلك الذي سار عليه في مقالاته السابقة، فيحاول هنا أن يكشف عن الشيء الذي يوحِّد ويشكل جوهر فوكو والمحدد والموجه لمجمل فلسفته والبحث عن الدافع الذي دفع صاحب كتاب "الكلمات والأشياء" إلى تقصي دور السلطة في تشكيل المعرفة، فيسعى دولوز لفهم كيف تطورت نظريته العميقة بين المعرفة والسلطة.[1]

يقول دولوز عن فوكو في خضم الكتاب معبرا عن اعجابه به:" فوكو فيلسوف عظيم وهو أيضا مبدع مدهش في مجال الأسلوب، فقد فصل المعرفة والسلطة على نحو مختلف ووجد بينهما علاقات خاصة، واكتسبت الفلسفة معه معنى جديدا ثم إنه أدخل سيرورات التذويت كبعد ثالث للمنطوقات Dispositifs كإصلاح ثالث متميزا يعطي دفعا جديدا للمعارف ويعدل السلطة فيفتح بذلك نظرية كاملة وتاريخا لأشكال الكينونة."[2] يعكس القول وجهة نظر دولوز حول فوكو فنجده هنا يثني على ابداعه في تحليل العلاقة بين المعرفة والسلطة وادخال مفاهيم جديدة ومبتكرة أضفت بعدا عميقا في الفلسفة موضحا كيف تؤثر السلطة في تشكيل المعرفة وكيف تستخدم المعرفة كأداة للسلطة، فنجد دولوز يعلي من شأن اسهامات فوكو في ثنايا الكتاب معتبرا أنّ فكر فوكو قد طرح أسسا جديدة فتحت بابا للتحليل والفهم في تطور المعرفة وتعديل مفاهيم السلطة.

يعالج جيل دولوز مسألة منهج فوكو الذي يبتعد ويتجنب النظريات الكلية الشاملة ويركز بدلا من ذلك على أنماط محددة ومتفردة تنشأ ضمن سياقات متعددة، فتأثر دولوز بشكل خاص بنظرية فوكو حول الملفوظ مؤكدا أنه ما أثّر فيه أكثر من سواء أنّ فوكو يقدم تصورا للغة

[1] زهير قوتال: دولوز قارئا فوكو، مرجع سابق، ص35.

[2] نقلا عن: شاكر مخلوف: فوكو كتابات وامتدادات، مجلة الحوار الثقافي، المجلد11، العدد02، 2022، ص13.

كشيء مفكك الوحدة وغير متجانس، وهو ما يفتح المجال أمام تشكيل أنماط وتصورات جديدة من الملفوظات في مختلف المجالات خارقا القيود التقليدية التي تفرضها اللغة كما يشير دولوز إلى أنّ الكتاب الذي كتبه عن فوكو لا يعد تاريخا للفلسفة بل كتابا كان يتمنى لو أنه ألّفه بالتعاون مع فوكو معبرا عن تقديره العميق لفوكو وأنه إذا ما كان الكتاب سيحمل قيمة جمالية فيشبهها دولوز بالضريح تقديرا لفوكو مبينا أنّ الاختلافات في وجهات النظر بينهما تبقى ثانوية.[1]

ولقد أعلن دولوز في عدة مناسبات أنه سار في المركب ذاته الذي سار عليه فوكو، وأنّ اهتماماته وفلسفته تنصب في اتجاه واحد مع فوكو، فكلاهما لم يكن مهتم بالمفاهيم الميتافيزيقية والمجردات، فلم تشغلهما مفاهيم كالواحد والكل والعقل والذات بل كانت القضايا التي تشغلهما تدور حول تحليل التراكيب المعقدة والمختلطة والمقابلات (نقط التلاقي) والمنطوقات، فلم يكن الهدف هو البحث عن المبادئ الأولى أو البحث عن البدايات بل كان ما يشغل فكرهما ومركز اهتمامهما يتمركز حول استكشاف وتحليل بنيات السلطة تحليلا بطريقة مفصلة ودقيقة.[2] يوضح دولوز أنّ مساره الفكري متقارب إلى حد بعيد مع معاصره فوكو باعتبار أنّ كليهما قد تجاوزا التساؤلات الميتافيزيقية وبدلا من ذلك اهتما بالغوص في تحليل البنى المعقدة بالبحث داخل التفاعلات الاجتماعية والسياسية لخلق خرائط توضح كيفية تشكل السلطة وتأثيرها.

[1] شاكر مخلوف: كتابات وامتدادات، مرجع سابق، ص13.

[2] زهير قوتال: دولوز قارئا فوكو، مرجع سابق، ص36.

المطلب الثاني: امتداد فوكو في فكر ادوارد سعيد

نجد أعمال ادوارد سعيد* تعكس التأثيرات الفوكوية فهو مدين بجزء كبير من فكره إلى فوكو وخاصة أعماله حول السلطة والعلاقات بين السلطة والمثقف، والمعرفة والخطاب، وقد طبّق هذه الأفكار بذكاء في كتاب الاستشراق.

يلعب ميشيل فوكو دورا هاما في جل كتابات ادوارد سعيد فتأثيره فيه واضحا سواء بالتلميح أو بالتصريح فتجد ظل فوكو يحوم باستمرار في عيون سعيد، لم يغب أبدا بل وشكل أساسا فلسفيا راسخا لبدايات سعيد في مهمته لاستكشاف الآليات الدقيقة التي انتجتها "ما بعد الكولونيالية"، كما قام بتحليل الخطاب الاستشراقي وما ينطوي عليه من تناقضات وتجاوزات مختلفة.[1] ومنه يتضح أن فوكو بالنسبة لسعيد ليس مجرد امتداد أو مرجعية عابرة بل هو أساس فلسفي لنهج سعيد في استكشاف البنى الخفية التي أنتجتها نظرة ما بعد الكولونيالية متبنيا المنهج الفوكوي في تحليله للخطاب الاستشراقي، ساعيا لتغيير صورة الآخر في نظر الأنا أو المركز، من خلال كشفه لطرق استخدام الخطاب الاستشراقي بحثا عن كيفية تكونه وما يحمله من تناقضات.

استخدم سعيد فوكو كإطار مرجعي له، وأفكاره كانت مصدره الرئيسي "يدين دينا عظيما لتنظيرات فوكو حول العلاقة بين السلطة والمعرفة، ذلك أنّ سعيد ينظر إلى التمثلات الفوكوية المتعلقة بالنظام والاستقرار والسلطة التنظيمية للمعرفة بوصفها المفهوم المؤسس لكل مؤسسات الحكم."[2] فنجد هنا أنّ سعيد اعتمد على العلاقة بين المعرفة والسلطة التي أسسها فوكو لتأسيس

*ادوارد سعيد (1935-2003): مفكرا وناقدا أدبيا فلسطينيا شغل العديد من المناصب من بينها أنه عمل كأستاذ في اللغة الإنجليزية، كما عما أستاذا في الأدب المقارن واهتم بالعديد من الميادين كالأدب والأنثروبولوجيا والفلسفة والسياسة، أهم أعماله: المثقف والسلطة.

[1] فوزية بوالقندول: النسق من سؤال المرجعيات إلى تفكيك المركزيات، مجلة الفكر، المجلد06، العدد02، 2022، ص14.

[2] نعيمة بن صالح: ماهية الخطاب الإستشراقي في فكر ادوارد سعيد، مجلة دراسات فلسفية، المجلد16، العدد02، 2021، ص05.

نظريته النقدية العميقة في تحليل مسألة الاستشراق الغربي والغوص في نصوص فوكو سمح له بفحص وتحدي نسق الثقافة الغربية المسيطرة والمهيمنة على غيرها من الثقافات الأخرى ويخلص إلى أنّ المعرفة الاستشراقية ليست موضوعية ومستقلة بل هي نتاج سياقات القوة والسلطة وهي معرفة تقدم نفسها على أنها الحقيقة المطلقة في حين أنها في الواقع مجرد تمثيل لوعي الذات عن الآخر في الغرب، تحتوي هذه العملية على قدرة توليد الذات التي تعمل ضمن شروط ذاتية أولا ومن ثم تعالج الآخر كموضوع للمعرفة بدرجة ثانوية فقط أو أقل.[1] وهنا تكمن قيمة أعمال فوكو حسب ادوارد سعيد في قدرته على هدم المسلمات الأساسية وخاصة تلك المتعلقة بالذات التي كانت تعتبر أساسا ثابتا مستقلا في الفلسفة الكلاسيكية على غرار فكرة الكوجيتو الديكارتي " أنا أفكر إذن أنا موجود " فيدحض فوكو هذا ويظهر أنّ الذات ليست إلا انشاء يتشكل تاريخيا قابل لأن يعتبر ظاهرة تاريخية عابرة قد تستبدل في العصور الحديثة ويسلط الضوء من خلال الإشارة إلى أعمال فوكو على كيفية تفكيك هذه الافتراضات كما يوضح طريقة سيرورات بناء وتعلم إدارة السلطة التي تحكم المجتمعات الغربية الحديثة.[2]

كما اقتبس ادوارد سعيد أيضا مفهوم الخطاب من ميشيل فوكو وأقر عن ذلك في مقدمة كتابه "الاستشراق".[3]

ومنه يمكن القول أنّ ادوارد سعيد قد استفاد من مفهوم الخطاب الذي طوره ميشيل فوكو لبناء فكرته حول الاستشراق، وينطلق من تعريف الخطاب لدى فوكو كمجموعة من العبارات التي تترك بصمتها في المجتمع وتشكل تأثيرا عليه، ولها القدرة على تشكيل الوعي وهذه القدرة تأتي من امتلاك الخطاب للسلطة فباعتباره كما أشرنا سلفا مجموعة منتقاة من العبارات فيعمل على صياغة الواقع الاجتماعي وتوجيهه واستخدم سعيد هذه الفكرة ليدرس الاستشراق كنوع من

[1] فوزية بوالقندول: النسق من سؤال المرجعيات إلى تفكيك المركزيات، مرجع سابق، ص16.

[2] شاكر مخلوف: فوكو كتابات وامتدادات، مرجع سابق، ص20.

[3] نعيمة بن صالح: ماهية الخطاب الإستشراقي في فهم فكر ادوارد سعيد، مرجع سابق، ص06.

الخطاب ذو سلطة وقدرة على فهم الغرب للشرق أو فهم الشرق بعيون غربية من خلال تحليل النصوص المتنوعة التي تتناول الشرق، فيكشف عن الكامن وراء النص والأسس التي تحكم انتاج هذه النصوص وكيف أنها تشكل استراتيجيات محددة لتوظيف المعرفة بشكل يدعم السلطة الغربية لذا فإنّ دراسة سعيد تسلط الضوء على كيفية استعمال الاستشراق كوسيلة للهيمنة الثقافية والسياسية، من خلال تصوير الشرق كموضوع للفهم والدراسة.

يمكن القول أنّ الخطاب الاستشراقي عند ادوارد سعيد لم يخرج عن إطار نسق النقد المعارض أو ما يعرف ب"الخطاب المهاجر المضاد" فقد تصدى سعيد بقوة للفكر الذي يقوم على المركزية الثقافية والذي يقصي فهم وتمييز الثقافة والأدب الآخر لذلك كانت لدى سعيد قناعة راسخة بمشروعه الثقافي وايمانه بالدراسات الاستشراقية التي احتضنها وآمن بأنّ دراسة المعرفة أو البحث في المعرفة لا يمكن أن يكون موضوعيا لسببين أولهما لأنّ العلاقات بين الثقافات هي في الأصل علاقات غير متكافئة، وثانيا لأنّ المعرفة التي تستخلص عن اللغة والأديان والعادات ليست إلا أدوات تستغل لمصلحة السلطات الاستعمارية، هذه الفكرة تجد جذورها في أعمال فوكو الذي بحث في نقاط تقاطع المعرفة مع السلطة حيث استغل الغرب قوته لتسهيل استيلائه على الشرق كموضوع استثمار ثقافي غني بالدراسة والتحليل الإبستيمولوجي وهذه المعرفة في جوهرها كانت الغطاء الإيديولوجي للسياسات الاستعمارية التي مورست بكل ثقة وحرية، بينما يكمن مشروع سعيد الثقافي في استخدام هذه المحاور لفضح الابتزاز المعرفي والسلطوي والطغيان الذي يختبئ وراء فعل الإنشاء وهي الرؤية ذاتها التي كان "فوكو" قد استكشفها في جهوده لفهم البنى الاجتماعية الغربية العميقة.[1]

يتبين مما سبق أنّ ادوارد سعيد عمل على تحدي الأفكار السائدة فقد وقف ضد المفاهيم الغربية الأحادية التي تحاول تفسير وتقييم ثقافات الآخر بشكل متحيز، وقد توصل سعيد إلى فكرة أساسية استندت على رؤية فوكو حول العلاقة بين المعرفة والسلطة واستغلال الغرب،

[1] فوزية أبوالقندول: النسق من سؤال المرجعيات إلى تفكيك المركزيات، مرجع سابق، ص15.

هذه العلاقة للسيطرة على الآخر أو على الشرق، فالمعرفة حسب فوكو وسعيد ليست محايدة وإنما متداخلة ومتشابكة مع السلطة، إنها تحمل في طياتها أيديولوجيات ومصالح القوى المسيطرة وهذا ما استخدمه سعيد لكشف كيف تخفي الرؤى الاستعمارية وجهتها الحقيقية وراء قناع المعرفة فيسعى لتبيين الاستغلال والهيمنة الذي يمارسه الغرب في تشكيل معنى وتصور الشرق من خلال موروثاتهم الأدبية.

المطلب الثالث: قراءة تحليلية نقدية

لسنا نبالغ إن قلنا أنّ أعمال فوكو تشكل واحدة من أجرأ الأفكار والأعمال في تاريخ الفلسفة، فقد عالج موضوعات اعتبرت لفترات طويلة من الطابوهات، لم يجرأ أحد على مناقشتها ولم يقف عند هذا الحد فحسب بل ذهب إلى التشكيك وهدم القواعد والمسلمات التي كان ينظر إليها على أنها مقدسة وغير قابلة للنقاش.

لذا أثارت أعمال ميشيل فوكو جدلا واسعا في الأوساط الفكرية الغربية والعربية وذلك لما تضمنته لمواضيع وأفكار جريئة وتفسيرات بعيدة عن التناول الفلسفي كالسجن، والطب... وهذا الجدل انقسم إلى مسارين الأول تمثل في انتقادات وجهها متخصصون في المجالات التي تناولها فوكو والتي تقع خارج نقاط الفلسفة، والثاني تمثل في إشادة بعض المؤرخين بالثورة الجديدة التي أحدثها فوكو في مجال التاريخ فقد اعتبروا أعماله نقلة نوعية في فهمنا للماضي وكيفية تكونه، وبين هذا وذاك برز اتجاه رافض تماما لما قدمه فوكو.[1]

يكشف هابرماس أنّ نقده لفوكو ليس هجوم وإنما يسعى من خلال نقده لفوكو لتسليط الضوء على ما هو غامض في أفكاره والافتراضات المسبقة التي تنطوي عليها كما أنه لا يقدم بديلا واضحا للأنظمة التي ينتقدها وهذا النقص يعيق ويعرقل إمكانية التغيير، ويرى هابرماس أيضا

[1] السيد ولد أباه: التاريخ والحقيقة لدى ميشيل فوكو، مرجع سابق، ص247.

أنّ فكر فوكو متناقضا فقد انتقد الحداثة من جهة، ومن جهة أخرى قام بتبني النزعة النقدية الكانطية التي تعود في الأصل إلى فجر الحداثة.[1]

ما يعاب على فوكو أنه على الرغم من تركيزه بشكل مكثف على السلطة وكيفية ممارستها على الأفراد، وتحدثه عن الطبقات المهمشة ودفاعه عن حقوق الإنسان ولكنه تجاهل ما فعلته فرنسا في الجزائر، ولم يولي اهتمام لما خلَّفه الاستعمار في البلاد العربية مما يعكس تنافضا بين اهتماماته بالعدالة وحقوق الانسان... في المجتمع الغربي والتغافل عنها في المجتمعات العربية، وهذا ما يعكس النظرة المركزية الغربية ولكن هذه المرة من خلال فوكو نفسه.

- يرى روجيه غارودي أنّ ميشيل فوكو قام ببناء نظرياته على أساس هش وغير متين ويعود ذلك إلى تركيزه بشكل كبير على الأسلوب والرغبة الجمالية لتقديم أفكاره وفي سعيه لتحقيق جمالية النص قد ضحّى بدقة التحليل التاريخي والتسلسل الزمني فحرّف التاريخ في مقابل أن يدعم أفكاره.[2]
- إنّ مختلف الانتقادات الموجهة إلى نظرية السلطة عند ميشيل فوكو تشير إلى أنها لا توفر تحليلا كافيا لكيفية فصل القواعد الأخلاقية والمعرفية عن بعضها البعض، وتعجز عن شرح تفاعلاتها وتأثيراتها في المجتمع.[3]
- هناك نوع من التقلب والتناقض في تحديده دور المثقفين في العلاقة مع السلطة فمن جهة يرى أنّه لدى المثقف القدرة على مناقشة وتحليل الأنماط السلطوية، مما يعطيهم القوة للمساعدة في تغيير هذه البنى ويتجلى ذلك في فكرته حول "المثقف المتخصص" الذي يستخدم تخصصه لتشريح وتحدي العلاقات السلطوية في المجتمع، ومن جهة أخرى يشير فوكو إلى أنّ المثقفين أنفسهم هم جزء من السلطة والمعرفة والحقيقة التي

[1] السيد ولد أباه: التاريخ والحقيقة لدى ميشيل فوكو، مرجع سابق، ص251.

[2] روجيه غارودي: البنيوية فلسفة موت الانسان، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، 1985، ص39.

[3] السيد ولد أباه: التاريخ والحقيقة لدى ميشيل فوكو، مرجع سابق، ص252.

ينتجها المثقف لا تكون بمعزل عن السلطة، فلم يتضح موقفه بشكل قطعي كما أنه يضفي على المثقف قوة قد لا تتاح له في الواقع.

خلاصة الفصل:

لقد تطرقنا في الفصل الأخير من البحث أولا إلى دراسة بعض المؤسسات التي تستخدمها السلطة لفرض قواعدها والسيطرة والتحكم في الأفراد، وقد شمل هذا التحليل كيفية استخدام السلطة للسجن وتم توضيح كيف يستخدم السجن كأداة لفرض النظام والقانون من خلال تقييد حرية الأفراد ومعاقبتهم، واستعرضنا كيف يتم التعامل مع الجنون كمؤسسة للسلطة هي الأخرى حيث يتم عزل الذين يعتبرون مجانين واخضاعهم لأنظمة علاجية معينة ما أظهر لنا كيفية استخدام المؤسسات الطبية والنفسية للتحكم في الأفراد وتحديد من هو طبيعي ومن غير الطبيعي، وأيضا كيف يتم التحكم في الجسد البشري من خلال الضوابط التي تسيطر على سلوكيات الأفراد والجماعات، ثم ناقشنا بعد ذلك امتدادات تأثير فوكو عند الغرب وأيضا العرب وكيفية استقبال وتطبيق مفاهيمه في مجال السلطة من قبل كل من معاصره دولوز والمفكر الفلسطيني ادوارد سعيد، وفي ختام الفصل قمنا بوضع أفكار فوكو تحت مجهر النقد والتعرف على نقاط ضعفها الموجودة في حججه.

خاتمة

خاتمة:

بعد تحليلنا لفكر فوكو طوال رحلة البحث توصلنا في الاخير الى النتائج التالية:

- تأسيس فوكو لمفهوم السلطة تأثر بشكل كبير وانطلق من أفكار ومفاهيم نيتشه المرتبطة بالقوة والثورة على القيم السائدة ومفاهيم النقد .... كما أنّ الثورة الطلابية شكلت نقطة تحول مهمة في بلورة مشروعه أيضا بما كانت تحمله من صراعات سياسية واجتماعية فهذه الحركة قدمت لفوكو مثالا ملموسا في مشاهدة عمليات السلطة والمقاومة لها مما قاده إلى إعادة التفكير في الطرق التي يتم بها تحدي البنى السلطوية.
- سعي فوكو لفهم كيفية تشكل الحقائق والأنظمة الاجتماعية وعلاقات السلطة عبر الزمن وفي محاولته لهذا الفهم لجأ الى استخدام منهجه الأركيولوجي.
- تجاوز ميشيل فوكو النظرة التقليدية في فهم دور المثقف مقترحا أن يكون دوره أكثر تفاعلا وتخصصا في مجالات محددة فيستخدم خبرته ومعرفته الخاصة لتحدي القوانين والسياسات وللكشف عن آليات السلطة مركزا على النقد والتحليل للسلطة والخطابات السائدة.
- حذر فوكو من الممارسات التي يمكن أن تقمع وتكبت بها السلطة صوت المثقف ليس فقط من خلال القمع المباشر ولكن من خلال ضغوط المجتمع، والسلطة الدينية، وسلطة اللغة ويرى أنّه على المثقف أن يكون واعيا بها.
- يعيب فوكو على كل النظريات القديمة التي تصور السلطة على أنها نظام أو آلية للقمع تستند على الإكراه الذي يفرضه القانون وتتمركز في يد الدولة فقط فيوسع فوكو نطاق التفكير حول السلطة ليشمل كيفية توليدها وممارستها عبر مختلف الشبكات الاجتماعية فهي منتشرة ومتموضعة في كل مكان.

- يرى فوكو أنه على المثقف أن يتعامل بحذر ويقظة في تعامله مع السلطة لأن الكشف على الآليات السلطوية يتطلب فهما عميقا وفي نفس الوقت الحذر لعدم الوقوع في التهميش.
- السلطة حسب فوكو ليست كائنا ماديا يمكن لشخص الحصول أو الاستلاء عليه أو تقسيمه مع الآخرين وليست شيئا يمكن حيازته بشكل دائم، فهو ديناميكية تمارس وهي موجودة في كل مكان وتنبع من عدد لا يحصى من النقاط داخل الشبكة الاجتماعية، وهذا يعني أنها لا تأتي فقط من الأعلى الى الأسفل، ولكنها تمارس بطرق أكثر تشابكا عبر التفاعلات اليومية بين الأفراد وضمن المؤسسات والهياكل الاجتماعية.
- وفي تحليل العلاقة بين المثقف والسلطة يرى فوكو أنّ دور المثقف قد تطور بمرور الوقت وأصبح يتجاوز مجرد متحدث باسم الطبقات المهمشة أو السعي لسبيل الدفاع عنها، بدلا من ذلك يرى أنه يجب على المثقف أن يعمل بوصفه كاشفا للطرق التي تعمل بها السلطة ويشدد على ضرورة التعامل بشكل ذكي والحذر من قبل المثقف حيث يتوجب عليه فهم السلطة والطرق التي تعيد من خلالها تشكيل نفسها للحفاظ على موقعها وتأثيرها.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم

1- سورة آل عمران: الآية 140.

2- سورة الحشر: الآية7.

ثانيا: المصادر باللغة العربية

1- دروس ميشيل فوكو، ترجمة: أحمد ميلاد، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب.

2- ميشيل فوكو: إرادة المعرفة، ترجمة: مطاع صغدي، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1990، لبنان.

3- ميشيل فوكو: الكلمات والأشياء، مركز الانتماء القومي، (د ط)، 1990، لبنان.

4- ميشيل فوكو: المراقبة والمعاقبة ولادة السجن، ترجمة: علي مقلد، مركز الإنماء القومي، (د ط)، بيروت، 1990، لبنان.

5- ميشيل فوكو: المعرفة والسلطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط01، بيروت، 1994، لبنان.

6- ميشيل فوكو: تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط01، بيروت، 2006، لبنان.

7- ميشيل فوكو: حفريات المعرفة، ترجمة: سالم بفوت، المركز الثقافي العربي، ط02، 1987.

8- ميشيل فوكو: نظام الخطاب، ترجمة: محمد سبيلا، دار التنوير، (د ط).

9- ميشيل فوكو: يجب الدفاع عن المجتمع، ترجمة: الزواوي بغورة، دار الطليعة، بيروت، 1976، لبنان.

ثالثا: المصادر باللغة الأجنبية

1- Michel Foucault: Réponse une question – inesprite , n371, 1968.

2- Michel Foucault: surveiller et punir, Gallimard, Paris, 1975.

3- Michel Foucault: La volonté de savoir, Gallimard, Paris.

رابعا: المراجع باللغة العربية

1- إسماعيل علي سعد: نظرية القوة في علم الاجتماع السياسي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989، مصر.

2- أنطونيو غرامشي: كراسات السجن، تر: عادل غنيم، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1994، مصر.

3- جوزيف ناي: القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة، ترجمة: محمد توفيق البجيرمي، العبيكان، الرياض، 2007، السعودية.

4- جون ليتشه: خمسون مفكرا أساسيا معاصرا من البنيوية إلى ما بعد الحداثة، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2008، لبنان.

5- حنة ارندت: في العنف، ترجمة: ابراهيم العريس، دار الساقي، بيروت، ط01، 1996، لبنان.

6- روجيه غارودي: البنيوية فلسفة موت الانسان، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، 1985، لبنان.

7- زكي نجيب محمود: هموم المثقفين، مؤسسة هنداوي سي آي سي، 2017.

8- الزواوي بغورة: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1999، مصر.

9- السيد ولد أباه: التاريخ والحقيقة لدى ميشيل فوكو، الدار العربية للعلوم، ط01، 2004.

10- عبد الوهاب لحيالي: الموسوعة السياسية، الجزء 04، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، د.ط.

11- علاء محمد مطر: مبادئ العلوم السياسية، جامعة الإسراء، ط2، 2018، فلسطين.

12- علي حرب: أوهام النخبة أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط03، 2004، المغرب.

13- علي عبود المحمداوي: الفلسفة السياسية المعاصرة، دار الروافد الثقافية، ابن النديم، نشر والتوزيع.

14- مالك بن نبي: بين الرشاد والتيه، دار الفكر المعاصر، ط011، بيروت، 2002، لبنان.

15- محمد الأندلسي: نيتشه وسياسة الفلسفة، دار توبقال، ط01، 2006.

16- محمد أمين بن جيلالي: ميشيل فوكو وسؤال السلطة، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، قسم الفلسفة، 2016.

17- نور الدين الشابي: فوكو قارئا نيتشه، دار الأمان، الرباط، ط01، 2016، المغرب.

خامسا: المراجع باللغة الأجنبية

1- Gilles Deleuze : Pour parlers, les éditions de minuit, Paris, 1990.

سادسا: الرسائل الجامعية

1- مخطاوي سليمان: فلسفة اللغة في فكر الاختلاف، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، 2022، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم.

2- هاشم بن عوض بن أحمد آل إبراهيم: سيادة الدولة بين مفهومها التقليدي وظاهرة التدويل، رسالة لنيل شهادة الماجستير في القانون العام، جامعة الشرق الأوسط، كلية الحقوق، 2013.

سابعا: المجلات والمقالات

1- إسماعيل نقاز: جدلية المعرفي والسياسي عند ميشيل فوكو قراءة في تفكيك بنية السلطة، مجلة دراسات فلسفية، العدد06، 2016.

2- إيجا حسينة: ميكانيزمات السلطة عند ميشيل فوكو، مجلة المداد، المجلد 12، العدد01، 2022.

3- خطاب عبد المالك: التوجهات المختلفة في النظر إلى ظاهرة القوة، مجلة المعيار، مج7، العدد02، 2018.

4- زهير قوتال: دولوز قارئا فوكو، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، المجلد09، العدد01، 2020.

5- الزواوي بغورة: بين اللغة والخطاب والمجتمع مقاربة فلسفية اجتماعية، انسانيات، المجلد 06، العدد03، 2002.

6- زواوي رايس: تصور ميشيل فوكو للمؤسسة وبداية تشظي السُّلط، مقاربات فلسفية، مجلد02، العدد03، 2015.

7- شاكر مخلوف: فوكو كتابات وامتدادات، مجلة الحوار الثقافي، المجلد11، العدد02، 2022.

8- عامر إيمان: التأسيس الحداثي لقداسة العقلانية ودناسة الجنون، مجلة رفوف، مجلد11، العدد02، 2023.

9- عبد الحق طالبي: ميشيل فوكو وتجاوز المناهج الفلسفية التقليدية، مجلة منتدى الأستاذ، مج15، العدد01، 2019.

10- عبد الحق قاسمي: الخطوات المنهجية في تحليل الخطاب عند فوكو، مجلة السعودية للدراسات الفلسفية، الجزائر، العدد03، 2023.

11- عبد العزيز منسي، جويني عسال: حفريات الخطاب في الفكر المعاصر، الزواوي بغورة قارئا ميشيل فوكو، مخبر الدراسات الإنسانية والأدبية، الجزائر، مج11، العدد01، 2024.

12- عمر هرموش: المثقف والسلطة المشتركة في كتابات ميشيل فوكو، مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، المجلد02، العدد03، 2020.

13-فريدة أبو عز الدين: ما هي السلطة؟ مجلة الفكر العربي، بيروت، العدد33، 1983.

14- فضيلة سيساوي، محاولة لتحديد مفهوم المثقف، المجلة الاجتماعية القومية، جامعة جيجل، الجزائر، مجلد52، العدد02، 2015.

15- فوزية بوالقندول: النسق من سؤال المرجعيات إلى تفكيك المركزيات، مجلة الفكر، المجلد06، العدد02، 2022.

16- لوط تاليا: أخلاقيات فعل الرقابة عند ميشيل فوكو، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، المجلد11، العدد01، 2023.

17- لوط تاليا: الجسد بين الأخلاق والقانون في فلسفة ميشيل فوكو، سلسلة الأنوار، المجلد11، العدد02، 2021.

18- محمد الطوالبة: السلطة والمقاومة والثورة عند ميشيل فوكو، مجلة جرس للبحوث والدراسات، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، مج20، العدد01، 2021.

19- محمد عبد القادر ربابعة، مشروعية السلطة في الفكر الفلسفي المعاصر المفهوم، الأسس والمقومات، دراسات العلوم الاجتماعية، المجلد 46، العدد 1، 2019.

20- معوشي حياة، حاج علي كمال: مفهوم السلطة، قراءة مقارنة بين ميشال فوكو وجان بوديار، مجلة أفاق للبحوث والدراسات، مج7، العدد01، 2024.

21- مكاحلية صورية: تمثلات المثقف وأدواره في كتاب صورة المثقف لإدوارد سعيد، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، جامعة العربي تبسي، الجزائر، العدد03، 2020،.

22- نعيمة بن صالح: ماهية الخطاب الإستشراقي في فكر ادوارد سعيد، مجلة دراسات فلسفية، المجلد16، العدد02، 2021.

ثامنا: المعاجم والموسوعات

1- ابن منظور: لسان العرب، الجزء 06، دار صادر، بيروت.

2- ابن منظور: لسان العرب، الجزء 07، دار المعارف، بيروت.

3- ابن منظور: لسان العرب، الجزء 09، نشر أدب الحوزة، بيروت، لبنان.

4- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، لبنان.

5- عبد الحليم محمد قنبس: معجم الألفاظ المشتركة في اللغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت، 1987، لبنان.

6- عبد المنعم الحفني: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، ط3، القاهرة، 2000، مثر

7- عبد المنعم الحنفي: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، ط3، القاهرة، 2000، مصر.

8- مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، د ط، القاهرة، 1983، مصر.

9- مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، 1998.

10-مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، 2007.

11-وضاح زيتون: المعجم السياسي، دار أسامة المشرق الثقافي، ط1، الأردن، عمان، 2010.

تاسعا: المواقع الإلكترونية

1-علي محمد غانم إبراهيم: السلطة والإيمان: الحاكمية، الدين والمجتمعات ما بعد العلمانية، 2021/01/16، اطلع عليه 2024/04/20، http://www.hamoong.ong

2- عبد الرحمان حبيب: سلطة المثقف ومثقف السلطة، 2009/07/06، اطلع عليه في 2024/04/25، https://www.al-jazirah.com

ملخص الدراسة

الملخص:

عنيت هذه الدراسة على ابراز الدور الذي يلعبه المثقف المابعد حداثي في فكر فوكو خصوصا فيما يتعلق بإعلاء أصوات الفئات المهمشة كالمساجين والشواذ والمثليين...، فضمن هذا الإطار يطرح فوكو المثقف بوصفه محرك للتغيير من خلال قدرته على انتاج معرفة تقوم على مقاومة الهياكل والأطر السلطوية المهيمنة، فيسعى المثقفون لكسر كل المعايير والقيم التي تساهم في استمرار التهميش والإقصاء لهذه الفئات، ويستخدم فوكو منهجه الأركيولوجي في دراسته بتحليل وتفكيك الأسس التي تستند عليها السلطة واعادة ترتيبها بطرق تخدم المقاومة وتحرير الفئات المهمشة.

الكلمات المفتاحية: المثقف، السلطة، المنهج الأركيولوجي، الخطاب، السياسة.

Abstract:

This study was concerned with highlighting the role played by the postmodern intellectual in Foucault's thought, especially with regard to raising the voices of marginalized groups such as prisoners, homosexuals and homosexuals. Within this framework, Foucault presents the intellectual as an engine of change through its ability to produce knowledge based on the resistance of dominant authoritarian structures and frameworks. Intellectuals seek to break all the standards and values that contribute to the continued marginalization and exclusion of these groups. Foucault uses its archeological approach in his studies of analyzing and dismantling the foundation on which authority is based and rearranging it in ways that serve resistance and liberating marginalized groups.

Keywords: Intellectual, authority, archaeological curriculum, discourse, politics.

People's Democratic Republic of Algeria
Ministry of Higher Education and Scientific Resear
Mohamed Khider University

Faculty of Social Sciences and

Social Sciences

Philosophy Major: The Academic Year 2023/2024

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـــة محمد خيضر بسكرة
of Biskra
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
Humanities
قسم العلوم الاجتماعية
Department
شعبة الفلسفة: السنة الجامعية 2023/2024

إذن بإيداع مذكرة التخرج

الأستاذ المشرف (ة): .....

وبعد الاطلاع على مذكرة الطالب (ة): بنابي نور الهدى .....

الموسومة بـ: الخطاب والسلطة عند ميشيل فوكو .....

.....

.....

المقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص فلسفة عامة. تأكدنا من توفر الشروط العلمية الموضوعية والمنهجية الشكلية، وأذنا له بإيداع المذكرة بصيغة PDF في قرص CD على مستوى مكتب شعبة الفلسفة، أو عبر البريد الإلكتروني لمسؤول التخصص عن طريق الأستاذ المشرف.

بسكرة في: 05/06/2024

التوقيع:

2.4- نموذج رقم 2 (خاص بالطلبة)

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

مجلس الآداب والأخلاقيات الجامعية

تعهّد خاص بالطلبة

أنا الموقع أدناه: ..شعابي نور..... .....
مسجل (ة) بـ ..بسكرة.....
في المؤسسة: ..جامعة محمد خيضر شعبة.....

أصرح أنني قد اطلعت على الأحكام المتعلقة بحقوق وواجبات الطلاب على النحو المنصوص عليه في ميثاق الآداب والأخلاقيات الجامعية (نسخة 2020)، وألتزم باحترام نصه وروحه بشكل صارم في الظروف جميعها.

حرر بـ 2024-6-05 في ..بسكرة.....

التوقيع

* ملحق بالقرار رقم ....1082.... المؤرخ في ..... 27 ديسمبر 2020 .....
الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

مؤسسة التعليم العالي والبحث العلمي:

نموذج التصريح الشرفي
الخاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي أسفله،

السيد(ة): ..... الصفة: طالب، أستاذ، باحث .....

الحامل(ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم: ..... والصادرة بتاريخ .....

المسجل(ة) بكلية / معهد ..... قسم .....

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، أطروحة دكتوراه)،

عنوانها: .....

.....

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه .

التاريخ: .....

توقيع المعني (ة)